

الاتجاهات المعاصرة في الموقف من المعتزلة عرض ودراسة

دكتور

عبد التواب محمد محمد أحمد عثمان

مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

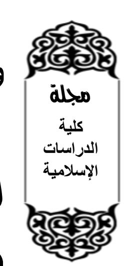



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

مقدمة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد .

فإن المعتزلة من الفرق التي شغلت حيزا كبيرا في الفكر الإسلامي، بداية من عوامل نشأتها، والأسباب التي ساعدت على ظهورها، مرورا بآرائها وأفكارها التي صاحبها قدر كبير من الجدل في العالم الإسلامي بين مؤيد ومعارض، وانتهاء بغياب المعتزلة عن مسرح الحياة الفكرية في الإسلام وعوامل ذلك.

ولأن المعتزلة فرقة كان لها من الآراء والأفكار ما خالفت به السائد في العالم الإسلامي وقت ظهورها؛ فإنها قد أثارت لغطا وجدلا صاحبها في كل آرائها، واتجهت أنظار الناس إلى هذه الفرقة بأصولها ومبادئها، بين مؤيد مناصر يرى في الاعتزال وأهله فكرا إسلاميا خالصا، يدافع عن الإسلام، ويرد عنه الكيد والشبهات، ويتسلح بأسلحة الفرق المخالفة في الجدال والمناظرة، فهم أولى الناس بالدفاع عن الدين، وبين مغال معادٍ يرى أن المعتزلة قد خالفت الأصول، وخرقت إجماع المسمين في كثير من الآراء، وهم أبعد الفرق عن نصرة الإسلام والدفاع عنه، وبينهما فريق يبحث في آراء المعتزلة فيميز بين الغث والثمين، ويفند الآراء بين إيجابيات تستحق الثناء والدفاع، وسلبيات تستحق الرد والنقض.

وقد استمرت هذه المناهج أو الاتجاهات الثلاثة منذ ظهور المعتزلة حتى وقتنا هذا، فما زال اختلاف الناس في الحكم على المعتزلة

يتنوع بين مؤيد ومهاجم ومنصف، فكانت هذه الاتجاهات الثلاثة في العصر الحديث.

ولأن هذه الاتجاهات موجودة في العصر الحديث فقد رأيت أن يكون بحثي بعنوان [الاتجاهات المعاصرة في الموقف من المعتزلة عرض ودراسة].

قمت فيه بعرض اتجاهات المعاصرين في الحكم على المعتزلة، ودراسة هذه الاتجاهات، والتعليق عليها، وليس المقصود بيان التأثر بالمعتزلة أو عدمه، وإنما المقصود بيان الموقف من الحكم على المعتزلة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتم تقسيمه إلى:

مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما التمهيد فتحدثت فيه عن: نبذة مختصرة عن المعتزلة وأهم آرائهم.

المبحث الأول: الاتجاه الأول: الهجوم على المعتزلة.

المبحث الثاني: الاتجاه الثاني: تمجيد المعتزلة.

المبحث الثالث: الاتجاه الثالث: الموازنة في الحكم.

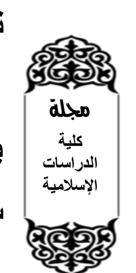
وذكرت في الخاتمة أهم النتائج المستخلصة من البحث.

وقد اعتمدت في عرض آراء أصحاب هذه الاتجاهات على أقوالهم دون تدخل مني إلا في الربط بين الأقوال بما يسمح بعرض الفكرة كما أرادها قائلها، ثم أقوم بالتعقيب على كل اتجاه.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

عبد التواب محمد محمد أحمد عثمان

تمهيد



نشأة المعتزلة:

المعتزلة فرقة إسلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء، وقد ذكر كتاب الفرق والمقالات قصة يوردونها في سبب نشأة المعتزلة، خلاصتها:

أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة(١).

ومع الاختلاف الوارد في كتب الفرق حول هذه القصة، إلا أنها تُعد أشهر سبب يُورد حول نشأة المعتزلة ومؤسسها واصل بن عطاء.

ويرى البعض أن النشأة تمتد زمنيا إلى وقت أقدم من هذه الواقعة حيث بدأت عند الخلاف الذي حدث حول الإمامة وموقف بعض الناس

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٤٥/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ .

منه حين اعتزلوا هذا الخلاف ولم ينحازوا إلى أي من الطرفين، وكان هذا بداية الاعتزال، حيث يرى صاحب التنبيه والرد أنهم: "سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة"(١).

أهم الأسماء:

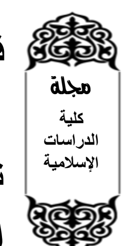
تتعدد الأسماء التي تطلق على فرقة من الفرق، نظرا لأن هذه الأسماء أصبحت سلاحا في المواجهة بين مدح وذم، حيث تجتهد الفرقة في إطلاق أسماء تُمدح بها، على حين يطلق عليهم الخصوم أسماء يُذمون بها، ولذلك تعددت الأسماء للفرقة الواحدة، ومن الأسماء التي أطلقت على المعتزلة :

١ - المعتزلة: ويرى المعتزلة أن هذا الإطلاق مما يمدحون به، حيث يقول القاضي عبد الجبار: "وأن التسمية بالاعتزال مدح بالآيات التي في القرآن"(٢)، وفي المقابل فإن خصوم المعتزلة يوجهونه توجيها يحمل ذما؛

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ص ٣٦، المكتبة الأزهرية للتراث- مصر .

(٢) المجموع في المحيط بالتكليف، قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، عني بتصحيحه ونشره: الأب جين يوسف هوبن اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية- بيروت، ١/٤٤٣ .



لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في قولهم بالمنزلتين[1]، ويرد ابن المرتضى على هذا القول بأنهم اعتزلوا كل الأقوال المحدثة، وعملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعات[2].

٢ – القدرية: لقولهم بخلق العباد لأفعالهم وتقديرهم، وأنه ليس لله فيها تقدير، ولا يوافق المعتزلة على هذا الاسم، ويرون أن الخصم أحق بهذا الاسم منهم، يقول القاضي عبد الجبار: "وكان مذهب المخالفين مذموما فاسدا لقيام الدليل على بطلان قولهم بالمخلوق وجب صرف هذا الوصف إليهم .. ، فإنهم يثبتون الأمور التي يقع الخلاف فيها أنها بقدر الله فيجب أن يكونوا أحق بهذا الاسم ممن ينفيه"[3].

٣ – أهل العدل والتوحيد (العدلية والموحدة): ويُفضل المعتزلة هذا الإطلاق عليهم؛ لأنه مشتق من أهم أصلين عند المعتزلة ألا وهما العدالة الإلهية والوحدانية[4]، وأشار مؤرخو أهل السنة إلى أن المعتزلة يطلقون على أنفسهم أهل العدل والتوحيد[5].

٤ – الجهمية: لأن المعتزلة أخذت عن الجهمية أكثر آرائهم، فلذلك أطلق الأئمة لفظ الجهمية على المعتزلة، فالإمام أحمد في كتابه الرد على

---

(١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ص ٩٤، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

(٢) المنية والأمل، أحمد بن يحيى المرتضى، ص ٤ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد، ١٣١٦هـ .

(٣) المحيط بالتكليف، ٤٤٢/١

(٤) المنية والأمل، ص ٢ .

(٥) الملل والنحل، الشهرستاني، ٤٢/١ .



الجهمية، والبخاري في الرد على الجهمية ومن بعدهم إنما يعنون بالجهمية فيه المعتزلة؛ لأنهم كانوا في المتأخرين أشهر بهذه المسائل من الجهمية[١].

ولا ريب أن المعتزلة يعدون هذا الإطلاق من باب الذم، فلا يوافقون عليه.

٥ – الثنوية والمجوسية: لما كان المعتزلة ينسبون فعل العبد إليه فإن بعض المؤرخين

اعتبرهم يقولون بوجود إلهين كما يقول الثنوية بوجود إله للخير وإله للشر[٢]، ولما سماهم البعض بالقدرية ألحق به التسمية بالمجوس أخذا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"[٣].

---

(١) انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي الدمشقي، ص ٤٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ١٧٥/٤، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٦/٤ .

(٣) سنن أبي داود، كتاب "السنة" ، باب "في القدر"، رقم"٤٦٩٣" . دار الكتاب العربي – بيروت .

السنن الكبرى للبيهقي، باب "ما ترد به شهادة أهل الأهواء" رقم "٢١٣٩١". مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ .

مستدرك الحاكم، رقم "٢٨٦" ، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم. دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٦ – الفرقة الناجية: يسمي المعتزلة أنفسهم الفرقة الناجية[(١)] على اعتبار أنهم على الحق ومن سواهم من الفرق المخالفة ليسوا على الحق.

٧ – الوعيدية: من الأسماء التي أطلقها المخالفون للمعتزلة عليهم، لأنهم يقولون بنفوذ الوعيد والخلود في النار[(٢)].

هذه أشهر الأسماء التي أطلقت على المعتزلة سواء في مجال المدح أو في مجال الذم.

آراء المعتزلة:

أبرز سمة تميز المعتزلة أنهم أقاموا مذهبهم على النظر العقلي ولا يترددون في إخضاع النقل لحكم العقل، وطبقوا قوانين العقل وأحكامه على الصفات الإلهية مما جعلهم يتبنون آراء فيها من الجرأة ما خالفوا به آراء من سبقهم، ورغم تنوع الآراء عند المعتزلة، إلا أنه يجمعهم القول بالأصول الخمسة التي لا يعد معتزليا من أنكر أصلا منها، يقول الخياط: "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر

المعجم الأوسط للطبراني، رقم "٢٤٩٤". دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ

(١) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، صالح بن مهدي المقبلي، ص ٣٠٠، الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ ،

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، ٤٥٤/٢، دار العاصمة – الرياض، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.



بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي"(١).

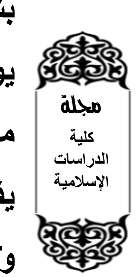
١ – التوحيد:

ويعد هذا المبدأ أهم مبادئهم وأصل مذهبهم وأساس آرائهم، لأنه وإن كان التوحيد أصلا عاما عند جميع الفرق، إلا أنه كان للمعتزلة تفسير خاص للتوحيد، ويقصدون به البحث في صفات الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه، وخلاصته: أن الله واحد ليس كمثله شيء ولا قديم غيره، وبناء على ذلك أنكروا صفات الله تعالى لإن إثباتها يستلزم تعدد القدماء؛ لأن الصفات شيء غير الذات، والقول بصفات قديمة إنما هو قول بالتعدد، وبنوا على هذا الأصل استحالة رؤية الله تعالى يوم القيامة لأن ذلك يستلزم الجسمية والجهة، وينبني عليه أيضا القول بخلق القرآن.

ويلخص الإمام الأشعري قول المعتزلة في التوحيد قائلا: "أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم، ولا شبح، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحم، ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، ولا بذي لون، ولا طعم، ولا رائحة،، ولا مجسة ولا بذي حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة، ولا يبوسة، ولا طول، ولا عرض، ولا عمق، ولا اجتماع، ولا افتراق، ولا يتحرك، ولا يسكن، ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجرى عليه زمان، ولا

---

(١) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، تحقيق: الدكتور نيبرج، ص ١٢٦، ١٢٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٣٤٤هـ ١٩٣٥م .



تجوز عليه المماسة، ولا العزلة، ولا الحلول في الأماكن، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف بمساحة، ولا ذهاب في الجهات، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه، ولا تجرى عليه الآفات، ولا تحل به العاهات، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له، لم يزل أولا سابقا متقدما للمحدثات موجودا قبل المخلوقات، ولم يزل عالما قادرا حيا ولا يزال كذلك، لا تراه العيون، ولا تدركه الابصار، ولا تحيط به الأوهام، ولا يسمع بالأسماع، شيء لا كالأشياء، عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء، وأنه القديم وحده لا قديم غيره، ولا إله سواه، ولا شريك له في ملكه، ولا وزير له في سلطانه، ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق، لم يخلق الخلق على مثال سبق، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شىء آخر، ولا بأصعب عليه منه، لا يجوز عليه اجترار المنافع، ولا تلحقه المضار، ولا يناله السرور واللذات، ولا يصل إليه الأذى والآلام، ليس بذي غاية فيتناهى، ولا يجوز عليه الفناء، ولا يلحقه العجز والنقص، تقدس عن ملامسة النساء، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء"[(١)].

٢ – العدل:

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، ص ١٥٥، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتاير- ألمانيا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

يطلق المعتزلة على أنفسهم أهل العدل والعدلية؛ لأهمية هذا الأصل عندهم(١)، والمقصود بالعدل عند المعتزلة: "أن الله تعالى لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة"(٢).

فأفعال الله تعالى كلها حسنة لا تكون إلا لحكمة ، ولا يوصف شيء منها بالقبح، ويقتضي عدل الله تعالى أن يخلق الناس أفعالهم لأنهم يثابون عليها إن خيرا أو شرا، ولا يكلف الله تعالى العباد بما لا يطيقون، وينبني عليه القول بنفي القدر لأن الإنسان موجد لأفعاله تنزيها لله تعالى أن يضاف إليه الشر، لأن فاعل الشر ليس عادلا، فهو سبحانه: "العدل الذي لا يجور، والحكيم الذي لا يظلم، وأنه لا يكلف عباده ما لا يطيقون، ولا يأمرهم بما لا يستطيعون، ولا يتعبدهم بما ليس لهم إليه سبيل .... ولا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها ما ليس من طاقتها، ولا يأخذ أحدا بذنب غيره، ولا يعذبه على ما ليس من فعله، ولا يطالبه بغير جنايته وكسبه، ولا يلومه على ما خلقه فيه، ولا يعذبه إلا بما جناه على نفسه

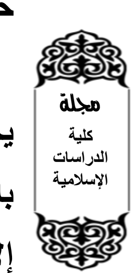
---

(١) ينظر: باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل، لأحمد بن يحيى المرتضى، عني بتصحيحه: توما أرنلد، ص ٢، دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد.

(٢) شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، ص ٣٠١، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.



وأقام الحجة عليه فيه، وكل فعله حسن، وكل صنعه جيد، وكل تدبيره حكمه"[١].



ويلخص المسعودي قول المعتزلة في العدل قائلا: " أن اللهّ لا يحبُّ الفساد، ولا يخلق أفعال العباد، بل يفعلون ما أمروا به وَنُهُوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لم يأمر إلا بما أراد، ولم ينه إلا عما كره، وأنه وليُّ كل حسنة أمر بها، بريء من كل سيئة نهى عنها، لم يكلفهم مالا يطيقونه، ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه، وأن أحداً لا يقدر على قَبْض ولا بَسْط إلا بقدرة الله التي أعطاهم إياها. وهو المالك لها دونهم يُفْنِيها إذا شَاءَ، وَيُبْقِيها إذا شَاءَ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته، ومنعهم اضطرارياً عن معصيته، ولكان على ذلك قادراً، غير أنه لا يفعل، إذ كان في ذلك رفع للمحنة، وإزالة البلوى"[٢].

٣ – الوعد والوعيد:

ويقوم هذا الأصل على أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، فوعده بالثواب واقع لا يتخلف، كما أن وعيده بالعقاب حق لا يتخلف، ولا يعفو –سبحانه– عن كبيرة من غير توبة، ومن ارتكبها ولم يتب خلد في النار، كما أنه لا يحرم من عمل صالحا من الثواب،

---

(١) إنقاذ البشر من الجبر والقدر، الشريف المرتضي، ضمن رسائل العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور: محمد عمارة، ص ٢٩٥-٢٩٦ بتصرف ، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، اعتنى به: كمال حسن مرعي، ٣/ ١٨٤- ١٨٥ ، المكتبة العصرية- صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.



وبناء على هذا الأصل أنكر المعتزلة الشفاعة يوم القيامة، فلا يشفع أحد لأحد، بل تجد كل نفس من الثواب والعقاب على قدر عملها.

وقد اجتهد المعتزلة في هذا الأصل للرد على المرجئة القائلين إنه لا يضر مع الإيمان معصية.

٤ – المنزلة بين المنزلتين:

ويدور هذا الأصل حول أن المسلم العاصي في منزلة بين الإيمان والكفر، لكنه إذا خرج من الدنيا بكبيرة من غير توبة يخلد النار، وهو في الدنيا يعامل معاملة المسلمين، ومرتكب الكبيرة في الدنيا في مرتبة دون المؤمن وفوق الكافر، لا يرتفع إلى الإيمان ولا يهوي إلى الكفر، فصاحب الكبيرة "لا يسمى مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا، بل يسمى فاسقا، وكما لا يسمى باسم هؤلاء فإنه لا يجري عليه أحكام هؤلاء، بل له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين"(١).

ويقرر الشهرستاني هذا الأصل عند المعتزلة قائلا: "الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير، ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا، وليس هو بكافر مطلقا أيضا، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة

(١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص ١٤٠ .



وفريق في السعير، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار"[1].

٥ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يرى المعتزلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المؤمنين جميعا، من أجل نشر الإسلام، ورد هجوم المخالفين، خصوصا مع انتشار الزندقة في العصر العباسي، لكن المعتزلة اتخذوا في سبيل تحقيق هذا المبدأ كل وسيلة، فحملوا الناس على آرائهم بالحجة والبرهان تارة، وبالقوة والسلطان تارة أخرى، وقد ظهر ذلك واضحا جليا خصوصا في فتنة القول بخلق القرآن واستدعاء السلطان على المخالفين من أجل بسط آرائهم وفرضها.

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٤٥/١ ، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٤هـ.

المبحث الأول

الاتجاه الأول: الهجوم على المعتزلة



يرى أصحاب هذا الاتجاه أن فرقة المعتزلة -في أصل آرائها وفي تطورها- قد خالفت جمهور أهل السنة في الأصول والعقائد، وأنها ابتعدت عن المنهج الإسلامي الصحيح، حتى وصل الأمر ببعض أنصار هذا الاتجاه إلى إخراج المعتزلة من جملة الفرق الإسلامية، وتصوير الخلاف معهم على أنه خلاف حقيقي في مسائل الاعتقاد التي يكفر بها المخالف.

وسوف أعرض أبرز نقاط الهجوم على المعتزلة عند هذا الاتجاه:

١ - المغالاة في الاعتماد على العقل:

حث الله تعالى الإنسان على إعمال العقل، ومداومة التدبر والتفكر في آيات الله تعالى، وتعدد الخطاب القرآني الذي يوجه المسلم إلى النظر والتفكر، لكن الله تعالى جعل للعقل حدا لا يمكنه أن يتعداه، واستعمال الدليل العقلي بجانب الدليل النقلي إنما يكون بضوابط وقواعد.

إلا أن المعتزلة -عند أصحاب هذا الاتجاه- غالوا في الاعتماد على العقل اعتمادا مطلقا، ولعل هذا أكبر الأسباب التي ابتعد بها المعتزلة عن منهج أهل السنة والجماعة.

فقد اعتمد المعتزلة على العقل اعتمادا مطلقا، حتى صار حاكما على النصوص الشرعية.

يقول البعض: "وأما حرية الفكر فنسبت إلى المعتزلة من اعتمادهم على العقل البشري، وجعل ما قرره وتوصل إليه هو الصحيح حتى في الشريعة الإسلامية أصولها وفروعها"(١).

ومع أن النظر العقلي في القرآن والسنة إجمالا مأمور به، إلا أن اعتماد المعتزلة على العقل اعتمادا مطلقا جعلهم ينظرون إليه على أنه أصل الاستدلال والنظر، لا ننكر تميزهم في هذا الجانب، لكننا ننكر المغالاة.

يقول علي سامي النشار: "كان المعتزلة بلا شك رواد بحث عقلي ونظر ممتاز في القرآن والسنة، بدأوا النظر العقلي فأنتجوا تفكيرا إسلاميا ولكن من وجهة نظر واحدة، ثم تغالوا في قضية العقل غلوا كاملا فتنكبوا الحقيقة، واتخذوا كل وسيلة ممكنة لتدعيم آرائهم ونشر معتقداتهم"(٢).

ومع أنهم رواد النظر العقلي في الإسلام إلا أن تقديمهم للعقل على السمع جعلهم يصلون إلى مرحلة من إنكار النصوص الشرعية.

يقول أيضا: "لكنني أرى –بعد تمحيص للمعتزلة وعقائدهم وبعد نقد داخلي لنصوصهم– أنهم كانوا رجال عقل محض، قابلوا النص الديني –وهم فلاسفة– ففحصوا في ضوء هذا العقل هذا النص، فقبلوا منه ما قبلوا وأنكروا منه ما أنكروا، أعلنوا أن العقل قبل ورود السمع، فإن العقل هو الذي يحسن ويقبح، وأن الأشياء حسنة وقبيحة في ذاتها، وليس

---

١) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، ص ٢٩٧، دار الأندلس الخضراء – جدة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ٤١٥/١، دار المعارف – القاهرة.



للنص من قيمة في ذاته سوى أنه يثبت ما يتصل به العقل بحركته الذاتية وانبعاث العقل بذاته"[١].

أو كما يقول الشيخ الذهبي: "اعتماد على العقل أكثر من الاعتماد على النقل، حتى يستطيع المفسِّر الذي هذا حاله، أن يلوي العبارة إلى جانبه، ويصرف ما يعارضه عن معارضته له وتصادمه معه، ووضعوا أسساً للآيات التي ظاهرها التعارض فَحَكَّمُوا العقل، ليكون الفيصل بين المتشابهات. وسبيل ذلك كله هو النظر إلى القرآن أولاً من خلال عقيدتهم، ثم إخضاعهم عبارات القرآن لآرائهم التي يقولون بها، وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع نحلتهم وعقيدتهم"[٢].

ويرى بعض أصحاب هذا الاتجاه أن تقديم المعتزلة للعقل على الشرع أدى بهم إلى أن جعلوا العقل مصدرا للتشريع دون الله تعالى، وهم في الحقيقة لم يقدموا العقل الصحيح، وإنما قدموا آراءهم وأهواءهم دون اعتماد على نظر عقلي صحيح، مع وجود خطأ في منهج البحث والاستدلال.

" ارتكبوا جرائم كبرى في حق الوحي والعقل من خلال موقفهم من العقل ومنهج الفهم والاستدلال، فخالفوا الشرع وعطلوه صراحة، وأخلوا بمنهج البحث والاستدلال، وتلاعبوا به حسب آرائهم وأهوائهم وظنونهم، وأفسدوا العقل البديهي وحملوه ما لا يطيق، وزجوا به في غير مجاله، وقدموه على الوحي الصحيح وجعلوه وثنا معبودا من دون الله، فحقيقة

---

١) السابق ٣١٣/١ .

(٢) التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، ٢٦٥/١، مكتبة وهبة، القاهرة.

موقف المعتزلة من العقل والشرع ليس أنهم قدموا عقولهم على الشرع كما هو شائع بين أهل العلم، وإنما الحقيقة هي أنهم قدموا آراءهم وأهواءهم وظنونهم على الوحي الصحيح والعقل الصريح، فافتروا بذلك عليهما وكانوا من أعدائهما بقصد أو بغير قصد"[١].

وقد أدى اعتماد المعتزلة على العقل اعتمادا مطلقا إلى إنكار عقائد ثابتة بالنصوص الشرعية الصحيحة لأنها خالفت أحكامهم العقلية، يقول البعض: "ومن أخطر أصولهم: تحكيم آرائهم وعقولهم والإعراض عن

---

١) جناية المعتزلة على العقل والشرع مظاهرها آثارها أسبابها، د خالد كبير علال، ص١٩٦، دار المحتسب، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠٢م.

الكتاب والسنة، وقد بنوا على ذلك عقائد باطلة، مثل: إنكار عذاب القبر[1] وإنكار الصراط والميزان[2]، وغير ذلك من هذه الأمور الغيبية الثابتة، وهم

---

١) إطلاق القول بإنكار المعتزلة عذاب القبر يخالف الصحيح الثابت عن المعتزلة كما نقله عنهم كتاب الفرق والمقالات، فلم ينكر عذاب القبر من المعتزلة إلا ضرار بن عمرو أحد شيوخ المعتزلة، كما يقول ابن حزم: " ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج، وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به". الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ٥٦/٤ مكتبة الخانجي-القاهرة.

ويرد القاضي عبد الجبار على هذه الشبهة قائلا: "إن هذه الأمر إنما أنكره أولا ضرار بن عمرو، ولما كان من أصحاب واصل، فظنوا أن ذلك مما أنكرته المعتزلة، بل المعتزلة رجلان: رجل يجوز ذلك كما وردت به الأخبار، والثاني: يقطع على ذلك، وأكثر أصحابنا يقطعون على ذلك لظهور الأخبار، وإنما ينكرون قول طائفة في الجملة: إنهم يعذبون وهم موتى، لأن دليل العقل يمنع من ذلك".

انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، ثلاثة مخطوطات اكتشفها وحققها الدكتور: فؤاد سيد، صـ ٢٠٠، ٢٠١، الدار التونسية للنشر.

٢) وقول القاضي عبد الجبار الذي ينسبه للمعتزلة في الموازين والصراط يخالف ذلك، حيث يقول عن الصراط: "أكثر أهل العدل يثبتون الموازين ولا ينكرونها كما نطق به الكتاب" ، ويقول عن الصراط: "أما على ما تقوله العامة في وصفه، وعلى ما تقول في بعض الأخبار، فلا يصح ذك، وإنما الذي يصح ان يكون طريقا لأهل الجنة والنار بعد المحاسبة، لأن



يردون الأحاديث الصحيحة لمجرد مخالفتها لهواهم، ويكذبون الصحابة والتابعين وسائر الرواة إذا رووا ما لا يتفق ومذهبهم"(١).

٢ – التأثر بالفلسفة والمنطق اليوناني:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الآراء الاعتزالية ليست نابعة من المجتمع المسلم وآرائه، وإنما هي صدى لآراء ومجتمعات أخرى انتقلت عقائدها وآراؤها إلى المجتمع المسلم مع توسع الفتوحات الإسلامية وشيوع الترجمة التي نقلت الآراء المختلفة إلى المسلمين، فكان المعتزلة وآراؤهم بعيدين عن الروح الأصيلة للآراء الإسلامية.

"حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون، وكانت هذه الحركة نوعا من رد الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقولاته العقائدية والفكرية بنفس الأفكار والمناهج الوافدة، وذلك دفاعا عن الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه، ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما

أهل الجنة ممرهم على باب النار، فمن كان من أهل النار عدل إليها وقذف فيها، ومن كان من أه الجنة يجوز عليها وينجو منها".

المرجع السابق صـ ٢٠٤، ٢٠٤ .

(١) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د سفر الحوالي، ص ٤٣ ، دار منابر الفكر، بدون



فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيها لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين"[(١)].

ويحصر البعض هذا التأثر في الأخذ عن الفلسفة والمنطق اليوناني من جانب والفلسفة الفارسية من جانب آخر بحكم اطلاع المعتزلة على آثار هاتين الحضارتين بعد ترجمتهما للعربية وفتنة المعتزلة بهما.

" المعتزلة قوم فتنتهم الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني، وما نقل من الفلسفة الهندية والأدب الفارسي، وقد كانوا -كلهم أو جمهورهم- ممن يمتون إلى الأصل الفارسي فأولوا القرآن لينسجم مع الفلسفة اليونانية، وكذبوا الأحاديث التي لا تتفق مع هذه العقلية اليونانية الوثنية"[(٢)].

ويرجع البعض سبب هذا التأثر بالفلسفة اليونانية إلى المشابهة بين بعض الآراء الاعتزالية وآراء فلاسفة اليونان -خصوصا أفلاطون-، وبالتحديد في فكرة التوحيد -الذي هو أهم أصول المعتزلة- حيث يظهر التشابه بين آرائهم وآراء الفيلسوف اليوناني الشهير.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف مانع بن حماد الجهني، ٧٤/١، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، ص ٧، المكتب الإسلامي – دمشق ، سوريا، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

"تجد بعض المشابهة بين فكرة التوحيد هذه عند المعتزلة وتلك عند أفلاطون، والسبب في هذا أن في أفلاطون نزعة روحية أو دينية تتلاءم مع المزاج الشرقي تلاؤما كبيرا"(١).

ولما وجد الأستاذ النشار أن التصور الاعتزالي لله يبتعد عن الطرفين، عن التصور الإسلامي السائد من ناحية، وعن التصور اليوناني من ناحية أخرى، ويرفض الرأيين معا، رأى أن المعتزلة قالوا بفكرة تبتعد عنهما وتعطي تصورا خاصا يصدر عن العقل وحده دون سواه.

"لم يقبل المعتزلة التصوير اليوناني لله، لا في صورته الأفلاطونية، ولا في صورته الأرسطاليسية، كما انهم لم يقبلوا التصور التقليدي الإسلامي لفكرة الله من ناحية عقلية بحتة، لم يقبلوا فكرة المحرك الذي لا يتحرك، ومن ناحية عقلية بحتة لم يقبلوا صورة الإله المجسم المشبه، وقد انتهوا إلى نظرية العين الواحدة، لقد كانت نظرية أكثر إيجابية من النظرية اليونانية في الله، وأكثر سلبية من النظرية الإسلامية السائدة حينذاك"(٢).

٣ – منهج نظري لا عملي:

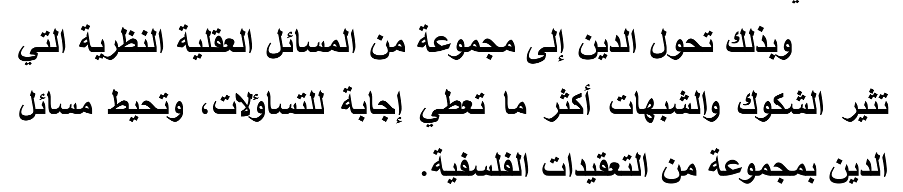
يُتَّهم المنطق الأرسطي أنه منطق صوري نظري ليس له فائدة عملية، وقد انتقل هذا الاتهام إلى المعتزلة نظرا لاعتمادهم في كثير من الأدلة على المنطق اليوناني، فأنتج منهجا عقيما لا يؤدي إلى فائدة حقيقية.

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ٤٢٧/١ .

(٢) المرجع السابق ، /٤٢٨ .

" **حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية عامة وبالمنطق الصوري الأرسطي خاصة"(١).**



وبذلك تحول الدين إلى مجموعة من المسائل العقلية النظرية التي تثير الشكوك والشبهات أكثر ما تعطي إجابة للتساؤلات، وتحيط مسائل الدين بمجموعة من التعقيدات الفلسفية.

" **المعتزلة بمنهجهم العقلي اعتمدوا على العقل كل الاعتماد، ولأجل ذلك حاولوا كثيرا تأويل النصوص القرآنية بجرأة فائقة، ومن ثم حولوا الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ والذي تستجيب له الفطرة الإنسانية، وتستسيغه العقول البشرية السليمة بكل سهولة، حولوه إلى بحوث عقلية معقدة، أو بالأصح إلى فلسفة نظرية يعجز عن فهمها كثير من العقلاء والأذكياء، فكان ذلك تنمية للعقل على حساب العاطفة، وإخفاقا لشأن الوحي والإيمان، وإثارة للشكوك والشبهات، وعدم الثقة أحيانا بالقضايا الإيمانية الثابتة بالنصوص الدينية المحكمة"(٢).**

ونظرا لتأثر المعتزلة بالمنطق الأرسطي فإن كثيرا من مباحث الكلام المعتزلي صارت مباحث نظرية بعيدة عن التوحيد الإسلامي الخالص، لا تثبت إيمانا ولا تزيد يقينا، ولذلك وجب التحذير منها.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٦٩/١ .

(٢) المذاهب الاعتقادية القديمة في ميزان الإسلام، علي أرسلان أيدين، ص ١٣٠، ١٣١، دار الرازي، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

"تلك هي فرقة المعتزلة في ماضيها وحاضرها، في أفكارها ومعتقداتها، في مبادئها وآرائها ومناهجها، وإن كان لنا أن ندعو الشباب إلى الحذر من تلك السموم وإلى توخي الحرص عند الاستماع لأي دعوى من دعاوى العقلانية أو التجديد أو عدم التعصب أو الحرية وإن تدثرت برداء الإسلام خداعا لأهله فإننا ننبه إلى أن في تلك الدعوات خيبة الدنيا وخسرانها قبل الآخرة وعذابها، ذلك أن منهج الكلام ومباحث الاعتزال هي في حقيقة أمرها مباحث نظرية بعيدة كل البعد عن الناحية التطبيقية العملية"(١).

٤ – رد دعوى دفاعهم عن الدين:

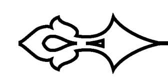
إن أكثر ما يُمدح به المعتزلة بين أنصارهم والمتعصبين لآرائهم أنهم قاموا بدور عظيم في الدفاع عن الدين الإسلامي في وجه هجمات المذاهب المخالفة والديانات الأخرى، واستخدموا أسلوب هذه الفرق العقلي في التصدي لأباطيلهم.

إلا أن المهاجمين للمعتزلة لا يسلمون بهذه الدعوى، ويعدونها تفتقر إلى الدليل لأسباب متعددة، أولها: أن راية الدفاع عن الدين لم تكن حكرا على المعتزلة ومن سار على نهجهم، وإنما هو دور قام به كل الفرق الإسلامية.

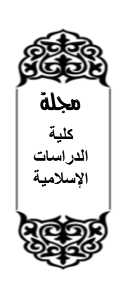
"دعوى انفراد المعتزلة بالدفاع عن الدين الإسلامي باطلة، لأنها تتضمن إلغاء دور السلف في الدفاع عن الإسلام ابتداء من الصحابة ثم

---

(١) المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبدة ، و طارق عبد الحليم، ص ١٤١، دار الأرقم – برمنجهام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.



التابعين ثم من جاء بعدهم من علماء سلفنا الصالح رحمهم الله أجمعين"[١].



ويستدل البعض على رفض هذه الدعوى بكونها لم تذكر في كتب مخالفي المعتزلة، ولم تتعرض لها المصادر الأخرى، غاية الأمر أنها ذكرت في كتب المعتزلة، وهذا ما يجعل تصديق هذه الروايات أمرا عسيرا.

"بذلوا جهدا في الدفاع عن الدين الإسلامي والدعوة إليه، ولكن المرء لا يسعه وهو يطالع قصة أعمالهم في الدعوة إلى الدين الإسلامي والدفاع عنه إلا أن يداخله بعض الشك في حقيقتها، ويساوره شيء من التردد في قبولها على علاتها، لأنها لا ترد مفصلة إلا في كتب المعتزلة أنفسهم، على حين لا تتعرض لها المصادر الأخرى بشيء إلا إشارة أو تلميحا"[٢].

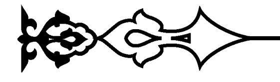
ويرى بعض منتقدي المعتزلة أن دفاعهم عن الدين ومناقشة شبهات المخالفين لم يكن بغرض تقرير مبادئ وعقائد الدين الصحيحة، وإنما بغرض الانتصار لآرائهم وتقرير مبادئهم، فلا يعد هذا الأمر محمدة للمعتزلة.

"هذه الجهود لم تذكر إلا في كتبهم وفي قلة نادرة من كتب غيرهم، وهذا يجعل للشك مدخلا إلى النفس في حقيقتها مما يؤدي إلى التردد في قبولها على علاتها، وأما ما تحمله هذه الدعوى من باطل فيظهر فيما

---

(١) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، ص ٢٩٥ .

(٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، ص ٤٧، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.



يلي: ١ – اعتبار ما قام به المعتزلة دفاعا عن الإسلام فهذا اعتبار باطل؛ لأن المعتزلة وهي تناقش المخالف وتدرأ الشبهات عن الإسلام وعقائده إنما تقرر عقائدها هي التي اجتمعوا عليها ولا تقرر عقيدة الإسلام الصحيحة التي يجب أن نعبد الله تعالى بها.... فالمعتزلة لم تنصر الإسلام الصحيح في دفاعها عنه، بل تدافع عن عقيدتها هي، وهي عقيدة لا تمثل الإسلام بل تمثل فرقة من فرق المبتدعة. ٢ – اعتبار أن وسائل المعتزلة التي استخدمتها في الدفاع عن الإسلام هي الوسائل الصحيحة فهذا اعتبار باطل، والوسائل عندهم هي القواعد الفلسفية التي أطلق عليها اسم علم الكلام"[١].



٥ – مناقضة أفعالهم لآرائهم:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه عند المقارنة بين آراء المعتزلة وأفكارهم وبين ممارساتهم العملية نجد قدرا من التناقض غير المبرر، بينما تؤصل آراؤهم قدرا من الأفكار والمعتقدات نجد أن الممارسات العملية للمعتزلة مع المخالفين أو العوام تناقض هذه الآراء تماما، ويتضح هذا في أكثر من جانب.

ففي جانب آرائهم في الإمامة والسياسة " مجموعة من المتناقضات: لم يحاربوا الأمويين، بل وقف واصل موقفا يكاد يكون موقف حياد بين علي وبين أعدائه، ثم حاربوا في واحدة مع الزيود ولكن انتهى الأمر بعد ذلك، وخدم كبار مشيخة المعتزلة خلفاء بني العباس، واستوزر بعض المعتزلة لهم، وأصبح الاعتزال دين الدولة الرسمي، وأصبح أصحاب

(١) تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، ص ٢٩٣، ٢٩٤ بتصرف .

حرية الإنسان سمراء ووزراء للملوك، وسلبوا الإنسان حريته حين حاولوا إرغام علماء المسلمين على اعتناق مذهبهم"[١].

ومن الغريب أن المعتزلة الذين يقولون بالحرية الإنسانية وإرادة الإنسان، ويقدمون العقل ويدعون إلى التحرر من الجمود على النص، ويشجعون على الآراء الحرة، نجد أنهم يحملون الناس على آرائهم، ويجبرون الآخرين على اعتناق مبادئهم، مستعينين -أحيانا- بقوة السلطان.

"كهنة العقل أهل الاعتزال الذين قالوا في الدين ما ليس منه في أصولهم الخمسة، ولم يكتف هؤلاء بقولهم وبتقديم العقل على كل ما عداه، بل كان دينهم إجبار الناس على معتقدهم وحملهم على ما تقولوا به"[٢].

ولذا فإن من الإجحاف أن يوصف الفكر الاعتزالي بأنه محرر للعقل، أو أنه يدعو إلى اتباع أحكام العقول وتحكيمها، لأنه في الحقيقة يدعو إلى أهواء، ثم هو يكبل العقل ولا يحرره.

"الفكر الاعتزالي ليس محررا للعقل ولا للدين، وإنما هو في غالبه أغلال وانحرافات وظنون وأهواء وظلمات وأباطيل، وهو في حقيقته إخراج للفكر من أن يكون قائما على الوحي والعقل إلى أن يكون قائما على الأهواء والظنون، فهو في غالبه قد خالف مبادئ الوحي الصحيح والعقل الصريح، وكبل نفسه بأغلال أهوائه وشياطينه وظنونه وأوهامه، فهو في

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي، ١/٤٤٢ .

(٢) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، حمد بن صادق الجمال، ص ٢٢٨، دار عالم الكتب -السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.



الحقيقة لم يتحرر ولا دعا إلى التحرر ولا كان فكرا حرا، وعليه إنه من الجريمة أن يوصف الفكر المعتزلي بأن من أهم خصائصه أنه فكر حر تنويري، فهذا تخريف وتحريف وتغليظ وافتراء وجريمة كبرى في حق العقل والعلم"[١].

٦ – الخروج عن النهج الإسلامي الصحيح:

يتهم المعتزلة بأنهم اتبعوا منهجا مخالفا لمنهج أهل السنة، واعتمدوا طريقة في الكلام والاستدلال والفهم مخالفة لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، بل يتهمون بأنهم لم يعتمدوا حتى على العقل الصحيح وإنما على مجرد ظنون وأوهام وآراء، لذا فهي "من الفرق الكلامية الخالصة التي تعتمد على الأصول الفلسفية والعقلانية، والاعتماد على الرأي والأوهام والظنون والتخرصات في تقرير الدين والتلقي ومنهج الاستدلال"[٢].

ويتسع الاتهام ليصل إلى خروج المعتزلة عن المنهج الإسلامي الصافي، والبعد عن النصوص الشرعية لموافقة الأوهام العقلية، وقد نتج ذلك كله من تقديم العقل على النقل وجعله حاكما عليه.

يقول البعض: وخلاصة القول في المعتزلة ومناهجها أنها خرجت عن السنة والجماعة والمنهج الإسلامي الصافي في مصادر التلقي ومنهج الاستدلال، فهم يقدمون التخرصات العقلية والأوهام والظنون على النصوص الشرعية الثابتة ويسمونه تقديم العقل على النقل، ويأخذون

(١) جناية المعتزلة على العقل والشرع، خالد علال، ص ١٩٣ .

(٢) الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديما وحديثا، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ٧، دار الوطن للنشر – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.



الكثير من قواعدهم ومصطلحاتهم عن الفلاسفة والجهمية ويجعلونها المرجع، ويحاكمون النصوص على ضوئها، ويزعمون أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين بخلاف الأدلة العقلية"[١].

لذا فإن مخالفي المعتزلة الذين يهاجمونهم لا يعتبرون الخلاف خلافا فرعيا، إنما هو خلاف في أصول العقيدة، مما يمهد القول لخروج المعتزلة عن الملة، هذه رؤية كثير ممن يخالفون المعتزلة وينقدونهم، يقول أحدهم: "ومما قدمناه عن المعتزلة ومذهبهم العقلي يتضح لنا مخالفتهم للسلف في أصول العقيدة ذاتها"[٢].

ووصل الأمر ببعض المخالفين للمعتزلة إلى اتهامهم بأنهم يرفعون شعار الدين وهم منه براء، لقد خرجوا من الإسلام بآرائهم وأفكارهم، "اتضح أن حقيقة مذهب المعتزلة أنه في أساسه مذهب علماني متدثر بالدين، رفع شعاره ثم تقدم عليه وتلاعب به وأفسده وعطله وجعله تابعا له، فهذه هي حقيقة مذهب المعتزلة من حيث يدرون أو لا يدرون، بقصد منهم أم بغير قصد"[٣].

٧ – المعتزلة سبب للفتن:

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٢) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ص ٢٢٦ .

والحق أن اتهام المعتزلة بأن أقوالهم كفرية إنما هو تجن على المعتزلة، نعم يمكن القول إن المعتزلة خالفوا أهل السنة في أكثر المسائل، إنما لا تصل إلى حد اتهامهم بالكفر والمروق من الدين، لأنه ما من مسألة من المسائل إلا وكان داع المعتزلة إلى القول بها تنزيه الله تعالى وتقديسه.

(٣) جناية المعتزلة على العقل والشرع، ص ٢١٨ .



ينعي أصحاب هذا الاتجاه على المعتزلة أنهم خاضوا في أمور أمسك عنها غيرهم ولم يناقشوها مما أوقعهم في كثير من اللبس والتناقض الذي كان سببا في نسبة أقوال وآراء كفرية للمعتزلة، "المعتزلة مصابون بداء الثرثرة والكلام في كل شيء إلى حد الهوس والهلوسة مما أوقعهم في الاضطراب والخلط والتناقض وقول الشناعات والكفريات"(١).

إضافة إلى ذلك فإنهم كانوا سببا في أكبر محنة مرت بالأمة، ألا وهي محنة القول بخلق القرآن التي كان المعتزلة السبب الأكبر فيها، وبسبب قولهم انقسمت الأمة الإسلامية، وتعرض كثير من العلماء للامتحان والافتتان نتيجة استعانتهم بالسلطان في فرض آرائهم على الجميع، "المعتزلة هم السبب الرئيسي في حدوث الفتن وامتحان الأمة بالمحنة الكبرى لكي تعتقد بالحديد والسجن أن القرآن الذي هو كلام الله مخلوق"(٢).

٨ – المعتزلة ونسبة العجز لله تعالى:

إن أصل العدل عند المعتزلة والذي تفرع عنه القول بحرية الإرادة الإنسانية وخلق الإنسان لأفعاله إنما ينتج عنه نسبة العجز إلى الله تعالى باعتبار أن إرادة الإنسان فوق إرادته عز وجل، وفي هذا إثبات نقص لله عز وجل – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– .

"من المؤكد أن نظرة المعتزلة فيها سمو بالإرادة الإنسانية فوق كل اعتبار، وأنهم قدسوا الإنسان ووضعوه في أسمى المراتب، إنه القادر المختار، يفعل الخير والشر والحق والباطل، ولكنهم أنقصوا حقا من قدرة

---

(١) الجهمية والمعتزلة، ناصر العقل ص ١٨٥ .

(٢) أصول الفرق، سفر الحوالي، ص ٤١ .

الله فجعلوه عاجزا عن نوع من الأفعال إن لم يكن أكثر الأفعال في هذا الكون وهو أعمال الشر، لقد ضحوا بقدرة الله لتأكيد عدالته، فكان للإله عندهم مقام صغير في هذا الكون"(١).

ومع أن رأي المعتزلة يهدف –من وجهة نظرهم– إلى تنزيه الله تعالى وتقديسه عن إرادة الشر حيث لا يجوز نسبته إلى الله تعالى، إلا أن منتقدي المعتزلة يرون أن في هذا جرأة على الله تعالى، وانتقاصا من مقام الألوهية، ونسبة للعجز إلى الله، "إن موقف الفيلسوف المعتزلي إنما يستند أيضا على موقف عقلي أو عقلاني بحت، إنه أعلن في هذا الأصل (حرية الإنسان) ولم يأبه أبدا بتصوير الله في تمام القدرة، أهم المعتزلة المشكلة الأخلاقية، حرية الإنسان عنده وقدرته فوق حرية الله وقدرته"(٢).

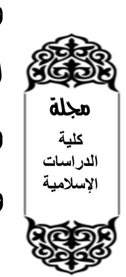
٩ – المعتزلة معول هدم للدين:

تصل الاتهامات من منتقدي المعتزلة إلى حد تصويرهم بأنهم من عوامل محاربة الدين وهدمه ونقض الأصول والثوابت والطعن في العقائد المتفق عليها بين الأمة، فهم كما يقول البعض "أشبهوا المجوس، وهم مجوس هذه الأمة لأنهم قدرية نفاة"(٣).

ثم هم بعد ذلك يخوضون فيما لا يجوز الخوض فيه ويشككون الأمة في ثوابتها، ويطعنون في الأصول، فهم معول هدم للدين، كما يقول أحدهم: "الأمة الإسلامية منيت في عهودها الأولى ولا زالت إلى اليوم بحركات ومذاهب وفرق كانت معول هدم تجتث الأصول والثوابت فتخوض

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ٤٣٥/١ .
(٢) المرجع السابق، ٤٣٦/١ .
(٣) الجهمية والمعتزلة، ناصر العقل، ص ١٦٧ .



في ذات الله وفي أسمائه وصفاته بغير علم، وتشكك الأمة في قرآنها وسنة نبيها، وتهون من قدسية النصوص وتجعل العقل حاكما عليها دون اعتبار للقواعد الشرعية والأصولية، وتتعرض لمقام الصحابة الكرام بالهمز واللمز تارة وبالطعن والسب تارة، وهي مع ذلك جادة في تقرير أصولها وطرح أفكارها ونشرها بين الناس، ومن تلكم المعاول المعتزلة"(١) .

وينتهي الأمر باتهام المعتزلة بأنهم كانوا حربا على الإسلام النقي، وأعداء للتوحيد الخالص الذي جاء به النبي ﷺ، "المعتزلة كانوا حربا على التوحيد الصحيح قرآنا وسنة، وكانوا دعاة للتعطيل والنفي والتأويل الفاسد، وحاربوا التوحيد الصحيح"(٢).

تعقيب

بعد هذا العرض لآراء منتقدي المعتزلة يمكن التعقيب على هذا الموقف بالنقاط التالية:

١ – يتنوع انتقاد المعتزلة بين نقد وهجوم يصل إلى وصفهم بالمروق من الدين والخروج عن النهج الإسلامي الصحيح، بل والوصول إلى كونهم معول هدم ومحاربة للدين وهدم للأصول والثوابت وعداء للتوحيد الصحيح، وبين نقد جزئي ينحصر في اتهامهم بالاعتماد على مصادر غير إسلامية كاليونان والفرس، أو كون المنهج نظريا لا فائدة ترجي منه.

ولعل هذا يدل على ثراء فكر المعتزلة، مما يجعله يحتمل كثيرا من أوجه النقد بين مقبول ومغالٍ.

---

(١) المشابهة بين المعتزلة الأوائل والمعتزلة الجد، فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، ص ٢ .

(٢) جناية المعتزلة على العقل والشرع، ص ١٩٦ .



٢ – الغالب على الاتجاه الذي غالى في الهجوم على المعتزلة هجوما عنيفا أن أنصاره ينتمون إلى ما يطلق عليه "التيار السلفي"، ومعلوم أن الخصومة بين الفريقين لها جذور تاريخية عميقة، اشتدت أيام محنة "خلق القرآن"، وما كان من المعتزلة تجاه الإمام أحمد، وكيف انقلبت الدولة على المعتزلة بعد رفع المحنة عن الإمام، الأمر الذي يجعلنا نستطيع أن نقرر أن هذه الخصومة في جانب منها تاريخية أكثر منها عقدية .

٣ – من العجيب أن تكون الميزة الأهم لدى المعتزلة – عند أنصارهم– وهي أنهم خدموا الإسلام، وقاموا بصد كثير من الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام سواء من الديانات المحرفة، أو من الملاحدة والزنادقة، وقاموا بالرد عليهم بصورة مفصلة، تحولت هذه الإيجابية عند المعتزلة إلى جانب سلبي يتم الهجوم عليه من خلالهم تارة باتهامهم في نياتهم ومقاصدهم، بأن مقصدهم لم يكن رفع راية الإسلام أو نصرة الدين وإنما إعلاء مذهبهم الفاسد والانتصار لعقائدهم، وتارة بالهجوم على مناهجهم العقلية البحتة التي تضع العقل فوق كل اعتبار، فضلا عن القول بأن هذه الأقوال لم تذكر إلا في كتب المعتزلة دون غيرهم.

والحقيقة أن هذا الاتهام يتضمن بعض التجني على المعتزلة؛ لأن دفاع المعتزلة عن الدين ومواجهة الخصوم من الأمور الواضحة حتى في مؤلفاتهم.

يقول الدكتور محمد عمارة: "ويكفي أن نشير للدلالة على الجهد الذي قدمه المعتزلة في جبهة الدفاع عن الإسلام ضد خصومه إلى أن الجزء الخامس من موسوعة القاضي عبد الجبار [المغني في أبواب التوحيد والعدل] قد أفرد للرد على الفرق غير الإسلامية من ثنوية ونصارى

ووثنيين ... الخ، وأن تناول المعتزلة لفكر هذه الفرق في مؤلفاتهم لم يكن كتناول مؤرخي الملل والنحل والمقالات، عرضا للآراء وتقريرا للمذاهب، مع حكاية آراء المخالفين، وإنما كان بيانا لحجج المعتزلة التي قدمتها في صراعها الفكري والحضاري مع هؤلاء الخصوم الفكريين. والمعتزلة لم يدفعوا فقط هذا الهجوم عن عقائد الإسلام، بل طاردوا هؤلاء الخصوم، وكسبوا إلى الإسلام أنصارا جددا كثيرين، حتى لقد كانوا أبرز من عمل على نشر الإسلام في البلاد المفتوحة، والوحيدين الذين استطاعوا أن يقنعوا بالإسلام أولئك الذين عرفوا مذاهب الفلسفة وأسلحة الأقدمين في الجدل"[١] .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ويذكر المستشرق جب أن المعتزلة وجدوا وسائل الجدل التي تكفل لهم أن يقارعوا الثنوية حجة بحجة وأن يفحموهم[٢]

بل ويذكر بعض مؤرخي هذا العصر، ومنهم الأستاذ جيوم أن نفوذ المعتزلة قد ترك آثاره الفكرية البارزة والواضحة على فكر علماء الكلام اليهود حتى شابهت آراء اليهود آراء المعتزلة في كثير من القضايا، لا لأخذ المعتزلة عن اليهود -كما يروج خصومهم- وإنما لما تمتع به المعتزلة من نفوذ عميق على مفكري اليهود[٣].

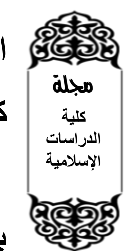
(١) تيارات الفكر الإسلامي، الدكتور محمد عمارة، ص ٧٤ ، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(٢) دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، ترجمة د. إحسان عباس، د محمد يوسف نجم، د محمود زايد، ص ١٦ ، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الثالثة، إبريل ١٩٧٩م .

(٣) انظر: تيارات الفكر الإسلامي. الدكتور محمد عمارة، ص ٧٤ .



ومما يعزز فكرة دفاع المعتزلة عن الإسلام ونشر عقائده بين المخالفين، ما ورد في كتب التاريخ في قصة المناظرة التي طلبها ملك السند من الرشيد، وخلاصتها: أنه لما منع الرشيد من الجدال في الدين، وحبس أهل علم الكلام، كتب إليه ملك السند: إنك رئيس قوم لا ينصفون، يقلدون الرجال، ويغلبون بالسيف، فإن كنت على ثقة من دينك، فوجه الى من أناظره، فإن كان الحق معك اتبعناك، وإن كان معي تبعتني. فوجه إليه قاضيا، وكان عند الملك رجل من السمنية، وهو الذي حمله على هذه المكاتبة، فلما وصل القاضي إليه أكرمه ورفع مجلسه، فسأله السمني: فقال: أخبرني عن معبودك هل هو القادر؟ قال: نعم. قال: أفهو قادر على أن يخلق مثله؟ فقال القاضي: هذه المسألة من علم الكلام، وهو بدعة، أصحابنا ينكرونه. فقال السمني: من أصحابك فقال: فلان وفلان ... وعد جماعة من الفقهاء. فقال السمنى للملك: قد كنت أعلمتك دينهم، وأخبرتك بجهلهم وتقليدهم، وغلبتهم بالسيف .. قال: فأمر ذلك الملك القاضي بالانصراف، وكتب معه الى الرشيد: إني كنت بدأتك بالكتاب، وأنا على غير يقين، مما حكي لي عنكم، فالآن قد تيقنت ذلك بحضور القاضي، وحكى له في الكتاب ما جرى، فلما ورد الكتاب على الرشيد قامت قيامته، وضاق صدره وقال: أليس لهذا الدين من يناضل عنه؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، هم الذين نهيتهم عن الجدال في الدين، وجماعة منهم في الحبس، فقال: أحضروهم، فلما حضروا قال: ما تقولون في هذه المسألة؟ فقال صبى من بينهم: هذا السؤال محال، لأن المخلوق لا يكون إلا محدثا والمحدث لا يكون مثل القديم، فقد استحال أن يقال: يقدر على أن يخلق مثله أو لا يقدر، كما استحال أن يقال: يقدر أن يكون عاجزا أو جاهلا. فقال الرشيد: وجّهوا بهذا الصبي إلى السند، حتى يناظرهم، فقالوا: إنه لا



يؤمن أن يسألوه عن غير هذا، فيجب أن توجه من يفي بالمناظرة في كل العلم. قال الرشيد: فمن لهم؟ فوقع اختيارهم على معمر، فلما قرب من السند، بلغ خبره ملك السند، فخاف السمني أن يفتضح على يديه، وقد كان عرفه من قبل، فدس من سمه في الطريق فقتله(١).

٤ – دعوى إنكار المعتزلة للأدلة السمعية النقلية دعوى غير صحيحة بالقدر الكافي، فكثير من الآراء التي تبناها أهل الاعتزال إنما تعتمد بصورة مبدئية على النص الشرعي، فرأيهم في الرؤية مثلا واستحالة رؤية الله عز وجل إنما يعتمد على نصوص شرعية {قال لن تراني}، وقول الله تعالى: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}، وغيرها من القضايا التي استدل عليها المعتزلة بالأدلة النقلية.

٥ – اتهام المعتزلة بأنهم يقدمون علما كلاميا نظريا خالصا غير عملي لا فائدة من ورائه، هو اتهام تم توجيهه إلى عموم الفرق الكلامية، باعتبار أن علم الكلام –عند أصحاب هذا الرأي– في حد ذاته لا يقدم جديدا، وإنما هو جدال عقيم لا ينشئ إيمانا ولا يثبت يقينا.

نعم كان حظ المعتزلة من الاتهام أكثر لمزيد عنايتهم بالمنطق والفلسفة والجدل والمناظرة، لكن لم تسلم من هذا الاتهام الفرق والمذاهب الأخرى.

---

(١) المنية والأمل، القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق د سامي النشار و عصام الدين محمد، ص ٥١ ، دار المطبوعات الجامعية- الإسكندرية ١٩٧٢م.



ولا يغيب عنا أن المقصود بذلك العلم المذموم إنما هو العلم الذي يعتمد على الجدال العقلي دون فائدة، أما الكلام الذي غايته تثبيت الإيمان والرد على المجادلين فهو محمود عند الأئمة.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

المبحث الثاني

الاتجاه الثاني: تمجيد المعتزلة

يذهب بعض المفكرين المعاصرين إلى اعتبار المعتزلة الصورة الحقيقية للفكر الإسلامي الصحيح، ويكيلون المدح والثناء للمعتزلة على اعتبار أنهم روح الإسلام الأصيل، وأنهم كانوا سببا في النهضة الإسلامية، وفي ارتفاع مسار الحياة العقلية في الإسلام، بجانب أنهم أكثر من خدموا الإسلام وقاموا بالدفاع عنه في وجه هجمات المخالفين ورد شبهات المعاندين، ويعتبرون أن أكبر مصيبة حلت بالعالم الإسلامي هي اندثار فكر الاعتزال، ولا عودة للأمة الإسلامية مرة أخرى إلى حضارتها، ولا سبيل إلى إعادة بعثها مرة أخرى إلا بإخراج فكر المعتزلة مرة أخرى وتعميمه بين الناس.

وسوف أعرض أهم أوجه تمجيد المعتزلة عند هذا الاتجاه:

١ – دورهم في تحرير العقل والفكر:

لا ريب أن المعتزلة يعدون أصحاب التفكير العقلي في الإسلام، فقد أعلوا شأن العقل، وجعلوه حاكما، وقد كانوا أصحاب أولية لم يسبقهم أحد إلى هذه المنزلة من قبل، "أسس المعتزلة أيديولوجية ذات تطلعات تتسم بالتفكير الحر قل ما سبقهم إليها مذاهب في الفكر الفلسفي المرتبط بالفكر الديني بشكل عام"[١].

(١) مذاهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة دراسة في نشأته ومبادئه ونظرياته في الوجود، رشيد البندر، ص ٥، دار النبوغ للطباعة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى محرم ١٤١٥هـ يونيو ١٩٩٤م.

وقد كان نشاط المعتزلة في إعلاء قيمة العقل وتحرير الفكر الإنساني لا يبارى، حتى استطاعوا تحرير العقل الإنساني، وإشاعة حرية الفكر في الإسلام، "المعتزلة نشاط كلامي يتوخى الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني من السلطان الخارجي وإفساح المجال أمامه ليحول حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع"(١).

ويمثل العقل محورا أساسيا في فكر المعتزلة لمن أراد أن يعرف أدوارهم وجهودهم، فالعقل بصورته الإسلامية إنما يتمثل حقيقة في فكر المعتزلة وآرائهم، "يمثل الاعتزال الموقف الأصيل، مركز الإضاءة الذي تتحد المواقف الأخرى بالنسبة إليه .... إذا أردنا أن نعرف ماذا يعني العقل في أفهام المسلمين في أي شكل وصورة يقبلونه، وفي أي شكل وصورة يرفضونه وجب التركيز على الاعتزال بصفته الأصل الضروري والأس اللازم لكل علم كلامي"(٢).

وقد ساعد على ذلك عدة عوامل في التكوين الفكري والثقافي للمعتزلة، أهمها اطلاعهم على الفلسفة اليونانية والمنطق وتبحرهم في علم الكلام، مما أورثهم قدرة فلسفية فائقة قادرة على التصدي والدفاع والحجاج عن العقائد الإسلامية في وجه المخالفين والمنكرين، "بفضل تسلح المعتزلة بسلاح الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وأساليب الجدل

---

(١) المعتزلة والتفكير الحر، عادل العوا، ص ٦٥، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى.

(٢) مفهوم العقل، عبد الله العروي، ص ٧٩، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م.

والمناظرة فإنهم قد أدوا دورا كبيرا وبارزا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء المعتقدات والديانات الأخرى المحرفة منها والمشركة والإلحادية"[(١)].

ولذلك فإن المعتزلة بتكوينهم الفكري والمعرفي وأساليبهم في الجدل والمناظرة كانوا أقرب إلى الفلاسفة منهم إلى المتكلمين، أو يمكن القول إنهم يمثلون فلاسفة الإسلام الذين يتسلحون بأسلحة الفلسفة ومبادئها في إطار الروح الإسلامية والمنهج الأصيل، "كانوا أصحاب مذهب عقلي، العقل فيه هو الكاشف لأنه هو المعرفة، فكانوا بذلك أقرب إلى الفلاسفة منهم إلى المتكلمين، بل نستطيع اعتبارهم فلاسفة الإسلام بحق، حيث كانوا هم المعبرين عن روح الإسلام ومفهوم العقيدة بمنهج عقلي"[(٢)].

وقد ذهب المعتزلة هذا المذهب -تحرير العقل والفكر من القيود- لأنهم وجدوا أن الأساليب التقليدية عند التيار السني السلفي لم تكن كافية لمواجهة الشبهات المثارة، وعملت بصورة أو بأخرى على إغراق الفكر في حالة من الجمود والتقليد، فكان للمعتزلة دورهم في إثراء العقل والفكر.

"لا يمكن لأحد أن ينكر أثر المعتزلة ودورهم الإيجابي الفاعل في تحرير الفكر الإسلامي من الجمود على النص واتباع الأساليب التقليدية في النقاش والحوار والاكتفاء بالنصوص القرآنية والأحاديث وحدها في الرد على معارضي الفكر الإسلامي من مشككين وزنادقة وملاحدة... لم يكن التفكير السني السلفي وحده كافيا بأساليبه التقليدية وبنزعته الميالة إلى

---

(١) العقلانية في إطار الفكر الإسلامي المعتزلة نموذجا، غسان علي عثمان، ص ١٩ ، بدون بيانات .

(٢) الاتجاه العقلي في مشكلة المعرفة عند المعتزلة، مهري حسن أبو سعده، ص ٣١٩، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

التهرب من الجدل والحوار والاستعانة بالأساليب العقلية والمنطقية والفلسفية التي دخلت المجتمع الإسلامي من الثقافات والحضارات الأخرى"[1].



ولهذا فإن المعتزلة – بهذا التاريخ- يقفون في صدارة الفرق العقلية التي أعلت شأن العقل، وسار على نهجها الحركات التي اعتمدت العقل وسعت إلى تحريره، "كانوا ولا يزالون رغم المحنة التي خالفوا بها مبادئ حرية الفكر يقفون في تاريخ الإسلام رمزا لحرية الفكر، ويعدون العامل الأكبر في جميع الحركات الفكرية التحريرية التي ظهرت بين المسلمين وغيرهم"[2].

ورغم أفكارهم العقلية واستخدامهم للمنطق اليوناني وإعلاء شأن العقل إلا أنهم كانوا معبرين عن الحضارة الإسلامية الخالصة دون بعد عن قضاياها وهمومها، "فالمعتزلة هم أكثر المدارس الفكرية تعبيرا عن أصالة الشخصية العربية الإسلامية، والذين استخدموا المنهج العقلي في البحث دون أن يكونوا أسرى للفكر اليوناني، ودون أن ينفصلوا عن قضايا العقيدة التي كانت تزخر بها المجتمعات العربية الإسلامية في عصورهم"[3].

٢ – التوفيق بين العقل والنقل:

إن أهم ما يؤخذ على المعتزلة عند منتقديهم أنهم جعلوا للعقل سلطانا كبيرا على الوحي وجعلوه حاكما على النصوص الشرعية، لكن

---

(١) تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، د فالح الربيعي، ص ٣٠، الدار الثقافية للنشر.

(٢) المعتزلة، زهدي حسن جار الله، ص ٢٦٣، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر .

(٣) رسائل العدل والتوحيد، مقدمة الدكتور محمد عمارة، ٢٢/١ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

أنصار المعتزلة يحاولون تأويل هذه الجزئية في صالح المعتزلة، باعتبار أنهم لم يهملوا النصوص الشرعية، ولم يكن للعقل عندهم سلطان على النص، بل كانوا يحاولون التوفيق والمواءمة بين النقل والعقل بما لا يتم به إهمال العقل أو عدم إعمال النص، فآراؤهم مستندة إلى النصوص الشرعية، "قامت هذه الحركة للدفاع عن العقيدة الإسلامية بأساليب الحجاج العقلي في مواجهة المنحرفين عنها والخارجين عليها، وقد استندت في مواقفها إلى نصوص القرآن والسنة مع استخدام منهج التأويل العقلي للنصوص لتفسير الوحي على مقتضى العقل، وعلى هذا فقد كانت حركة الاعتزال ذات نشأة إسلامية بحتة واضحة المعالم"(١).

فالمعتزلة في كل آرائها ومواقفها لا تخرج عن الإسلام، مستندة إلى نصوصه مع اعتمادها على العقل في فهم هذه النصوص، مما يؤول إلى موافقة العقل للنقل ونفي التعارض بينهما، وهذا ما حملته المعتزلة على كاهلها، أن تثبت أنه لا تعارض بين عقل ونقل، "فمنذ البداية ظهرت عند المعتزلة نزعة إلى الاعتماد على العقل، وإلى إقامة سلطان له إلى جانب النصوص المنزلة، وهكذا تتجلى أصالة المعتزلة في أنهم قد التزموا بالعقل منهجا، وأثروا الدين وجعلوه موافقا للعقل، ليس فحسب بل وأكدوا على تطابق العقل والنقل حيث جاءت تعاليم العقل متفقة مع تعاليم النقل، ومن ثم فلا يمكن أن يوجد ثمة تناقض بين الفلسفة والدين، بمعنى كون الأولى تحد من الثانية، أو بمعنى منافاة الثانية للأولى"(٢).

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ص ٢٣٦، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ٢٠٠٧م.

(٢) أثر المعتزلة في الفلسفة الإلهية عند الكندي، هناء عبده سليمان أحمد، ص ١٢٤، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م .

ومن هنا فإنه في الوقت الذي أعلن فيه فريق من أهل السنة استحالة الجمع بين الدين والفلسفة، فإن المعتزلة أقاموا الدليل على الجمع بينهما، وأنه لا يمكن رؤية تناقض بين العقل والنقل، أو بين الدين والفلسفة، وكان هذا من خصائص المعتزلة التي امتازوا بها عما سواهم من الفرق والمذاهب الإسلامية، "كان لهم الفضل الأكبر في الجمع بين الدين والفلسفة في حين أنه كان يبدو أنه من المستحيل الجمع بينهما، وخصوصا من وجهة نظر أهل السنة الذين كانوا يرون في النزعة الفلسفية نوعا من الزندقة والإلحاد والخروج عن قواعد الدين"(١).

٣ – تأسيس حركة علمية حضارية:

يرجع الفضل إلى المعتزلة في تأسيس دعائم حركة عقلية واسعة كان لها صدى وأثر عظيم في صياغة الحضارة الإسلامية وازدهارها، ولم تكن هذه الحضارة لتتقدم إلا بوجود تيار عقلي يكون رائدا للحياة الفكرية الإسلامية، قد مثل المعتزلة هذا التيار، "إليهم يرجع الفضل في تأسيس دعائم الحركة العلمية الإسلامية بوجه عام، ذلك لأنهم لم يكونوا فقط روادا للفكر الديني، بل كانوا روادا للفكر العلمي في عصرهم لتمكنهم من دراسة علوم عصرهم والعصر السابق عليهم، وانتهائهم إلى آراء مبتكرة سبقوا بها عصرهم إلى عصور أخرى لاحقة، ومهدوا بها السبيل إلى مفكرين غيرهم"(٢).

---

(١) تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، فالح الربيعي، ص ٢٢ .

(٢) مدخل إلى علم الكلام، محمد صالح محمد السيد، ص ٢١٩، دار قباء – القاهرة، ٢٠٠١م.

وقد كان للمعتزلة فضل السبق في تأسيس هذه الأفكار العلمية وفي التمهيد لهذا السبق الحضاري والتحرر العقلي، "لقد سبقنا المعتزلة بفكرهم مئات السنين، ولو استمر مذهبهم، أو تسنى لنا أن نطلع على منهجيته في التفكير مبكرا لأضاف إلينا الكثير"[١].

لهذا فإن وجود المعتزلة بأفكارها وآرائها وما مثلته من عامل أساسي من عوامل التقدم والازدهار كان علامة بارزة على قيام الحضارة المنشودة للأمة، ودليلا على قابلية الأمة للتقدم والنهوض إذا وُجد من يحمل هذه الأفكار، وبرهانا على قابلية الأمة للأخذ بأسباب الحضارة، خلاف ما تروج له فرق ومذاهب أخرى تعود بالمسلمين إلى تخلف وتقهقر حضاري، "تمتاز المعتزلة بأن نشأتها وفكرها ونشاطها العملي قد كان علامة بارزة من علامات التبلور الحضاري الذي جسدته المعتزلة، كان البشير بالمستقبل والحامل لعوامل التقدم، على عكس ما كانت تمثل تيارات وفرق أخرى من ردة حضارية أو قيم متخلفة"[٢].

والمتتبع للتاريخ والحضارة الإسلامية يلحظ أمرا عجيبا، ألا وهو أن ازدهار الحضارة الإسلامية وارتقاءها قد ارتبط تماما بنمو فكر المعتزلة وشيوعه، وهبوط التفكير والحضارة الإسلامية وخسوفها كان مصاحبا لأفول نجم المعتزلة، كأن المعتزلة أخذت بزمام الحضارة والتقدم فلما غابت غابا وانحسرا، "المسار التاريخي للمعتزلة قد صاحب المسار التاريخي للحضارة الإسلامية ازدهارا وانهيارا، بمعنى أن ازدهار الاعتزال كان في أوج

---

(١) المعتزلة نشأتهم فرقهم آراؤهم الكلامية، صلاح أبو السعود، ص ٨، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

(٢) تيارات الفكر الإسلامي، د محمد عمارة، ص ٦٠ .



الحضارة الإسلامية في القرن الثالث الهجري، كما أن غياب المعتزلة عن مسرح الحياة الإسلامية قد واكبه تدهور هذه الحضارة"(١).

٤ – تطوير الفكر الديني:

إن من أهم ما قام به المعتزلة في الفكر الإسلامي أنه قام بتطويره إلى جانب عقلي يرفع من شأن العقل ويعلي مكانته، ولا ريب أن هذا التطوير أحدث في الفكر الديني الإسلامي قدرا من المرونة الكافية، فهم "أول مدرسة كلامية ظهرت في الإسلام، وكان لها دور كبير في تطوير الفكر الديني والفلسفي فيه، فهي التي أوجدت الأصول العقلية للعقيدة الإسلامية، وجعلت للنزعة العقلية في الفكر الإسلامي مكانة مرموقة، ورفعت من شأن العقل وأحكامه وقدرته في الوصول إلى الحقيقة"(٢).

وكان مقصد المعتزلة في هذا الجانب حماية جناب الدين من الانحراف في فهمه أو جعله عرضة للبلبلة والتضارب، وقد حاول المعتزلة جعل العقيدة الإسلامية أكثر استنارة وصفاء عما كانت عليه عند أصحاب الفرق والمذاهب الأخرى، فقد "كانوا أحرارا في آرائهم وفي تأويلاتهم فلم يقفوا عند حد، ولم يردعهم قيد، وحكموا العقل في جميع القضايا.... وكان جل مقصدهم تخليص الدين الإسلامي من التبلبل والفلسفة والمذاهب المتضاربة والمنتشرة في العالم الإسلامي كله، وجعل الديانة الإسلامية أكثر صفاء ومرونة وأشد مراسا وحجة لتتوافق مع المقولات في كل عصر

---

(١) أصل العدل عند المعتزلة، هانم إبراهيم يوسف، ص ٢٨، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، الدكتور عرفان عبد الحميد، ص ٨٣ وما بعدها، مطبعة الإرشاد – بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

وزمان، ويهضمها الوجدان البشري، ويستسيغها الذوق في كل وقت وآن"(١).

وقد كان تطوير الفكر الديني عند المعتزلة مواكبا لحاجة المجتمع العلمية وملبيا لمتطلباته المعاصرة، كان تطويرا فكريا وعمليا في آن واحد، لم يكن بعيدا عن حاجات المجتمع المسلم، ولا بعيدا عن أفكاره وآرائه التي يحتاجها، "المعتزلة في حقيقتها واكبت تطور المجتمع الإسلامي في مختلف أطوارها خلال القرون الثلاثة، وكانت تهتم بالجانب العملي السلوكي من الحياة، وكانت تعيش واقع المسلمين بعمق حتى إنها في فكرها وسلوكها كانت إجابة على ما جدَّ في هذا الواقع من المشاكل الناجمة في مجال السلوك أو في مجال الفكر العقائدي، ويبدو هذا واضحا في أمرين: الأول: ما أعطوه من قيمة لعنصر التطبيق العملي في مبادئهم العقائدية، الثاني: ما كانوا يقومون به من الأعمال في سيرتهم السلوكية"(٢).

٥ – الجرأة والحاسة النقدية:

نظرا لاهتمام المعتزلة بالعقل وتكوينه، وحثهم على إعمال العقل وجعله عمدة في الاستدلال، تكونت لديهم نظرة نقدية جعلت من الضروري عرض الآراء والأفكار على محك النقد والاختبار، وكانوا يملكون من الشجاعة ما يجعلهم يواجهون ذلك، وقد كان غياب هذه الحاسة النقدية من علامات غياب العقل العربي، "لقد كان غياب الحاسة النقدية في نظرنا واحدة بين الخسارات الكبرى التي خسرها العقل الإسلامي بنفي الفكر

(١) هذا هو الإسلام، فاروق الدملوجي، ص ٤٩ .

(٢) أصل العدل عند المعتزلة، هانم إبراهيم يوسف، ص ٣٢ .

الاعتزالي برمته من غير تفرقة بين المنهج والموضوع، لأن حضور الحاسة النقدية في الحقيقة يمثل واحدة من أهم نقاط البدء اللازمة لإعادة عرض الإسلام على العالم، وهي العملية التي لا بد منها، وإلا تعرض الإسلام لخطر الدخول في مرحلة انقطاع تاريخي طويلة"(١).

وقد تمتع المعتزلة -مع ذلك- بجرأة في عرض آرائهم ساعدتهم على إعلان آرائهم الحرة، ومكنتهم من نشر ثقافتهم المنفتحة، رغم رفض المجتمع لكثير من آراء المعتزلة نتيجة تأليب أرباب المذاهب المختلفة للعامة عليهم، ومع ذلك فقد كانوا "أصحاب الفكر الحر، والعقل المميز، والثقافة الواسعة المدروسة، والكلمة الجريئة، يريدون النهوض بالمجتمع الإسلامي من جموده وتعصبه المذهبي للتقليد، ولكن المجتمع الإسلامي لا يريد أن يصحو من غفوته حتى أصبحنا لا نرى إلا ما يراه الآخرون ولو جانب الحق والعدل"(٢).

إن جرأة المعتزلة كانت جرأة عظيمة ولا شك، ولكنها كانت جرأة في مقابل موروثات اعتادها الناس واعتقدوها عقائد لا تقبل الشك وألحقوها بالدين، لكن المعتزلة لم يبالوا بذلك كله، ووقفوا أمام المعتقدات الدينية يصححون الأفكار، ويرفعون آراءهم بكل صراحة، "إن قوما يحاولون أن يوفقوا بين النقل وبين العقل، لا يجدون بأسا بأن يعلنوا عن آرائهم بجرأة وصراحة حتى ولو كانت تلك الآراء مخالفة لتعاليم الدين في

---

(١) السلطة في الإسلام، عبد الجواد ياسين، ص ١٢٥، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
(٢) أصل العدل عند المعتزلة، ص ٣٥ .

زمان كان للدين فيه أكبر الأثر على نفوس الناس، إن قوما يقدمون على كل ذلك لحريون بالتقدير، جديرون بأن يعتبروا من أنصار حرية الفكر"(١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ومما حرص عليه المعتزلة أن يؤصلوا هذه المعاني في نفوس الأتباع، فكان حرصهم على أن يكون الإيمان عن اقتناع ونظر ويقين لا عن تقليد، لذلك "حرص المعتزلة الحرص كله على أن يكون الإيمان حتى لدى العامة في نظر بعض المعتزلة إيمان العلماء، إيمان علم ومعرفة ويقين، وهو خير وأبقى في نظرهم من إيمان السذج المقلدين الذين يتبعون آراء غيرهم ويتخذونها قلادة في أعناقهم، ولذا يؤكد المعتزلة في تمسكهم بتحرير الفكر بالنظر، وتحرير السلوك بحرية الاختيار وخلق الأعمال، يؤكدون إيمانهم بكرامة الإنسان، وتعلقهم بجدارته وقدرته، بل وباستطاعته شبه المطلقة في كل مجال"(٢).

٦ – دفاعهم عن العقيدة الإسلامية:

كان للمعتزلة دور بارز في الدفاع عن الإسلام ومواجهة خصومه، سواء في باب رد الشبهات والجدل والمناظرة، أو في باب دعوة غير المسلمين وإقناعهم بالعقيدة الإسلامية، وقد كان المجتمع المسلم في أمس الحاجة إلى من يقوم بهذا الدور بعد الفتوحات الإسلامية والاختلاط بالمجتمعات والثقافات المختلفة.

"كان للبلاد المفتوحة كفارس وغيرها أثر واضح في نشأة فرق متعددة تدعو دعوات منحرفة خارجة عن الإسلام وإن كانت تتستر بستاره وتتخفى في ردائه.... وتحاول التشكيك فيه وفي قيمته كدين متكامل،

(١) المعتزلة، زهدي جار الله، ص ٢٦٣ .

(٢) المعتزلة والفكر الحر، عادل العوا، ص ١٠٤ .

وكان من الواجب والضروري أن تنهض طائفة بعبء الدفاع عن الإسلام ورد كيد الكائدين، ووجد في المعتزلة خير من قام بهذا الدور التطهيري المجيد ضد جميع الفئات تقريبا"[١].



وقد ظهر هذا الدور بارزا في العصر العباسي عند دخول الدول في الإسلام وظهور فرق ومذاهب فارسية وغيرها اختلطت بالمسلمين وحاولوا بث آرائهم وعقائدهم بين عموم المسلمين، "جاءت الدولة العباسية تحمي الفرس لأنها قامت على أكتافهم، ولكن مذاهب الفرس ثنوية وتشبيه وتجسيم ونحو ذلك... نجد في هذا العصر دعاة كثيرين يدعون إلى ثنوية الفرس ومانوية الفرس وبعض تعاليم اليهودية والنصراينة وبعض تعاليم الهنود الأقدمين، وبعض هؤلاء الدعاة تستر بالإسلام .... ولم يكن المحدثون والفقهاء يستطيعون أن يقفوا أمامهم، فكان لا بد لمن يقنعهم ويرد عليهم أن يتسلح بسلاحهم، وأن يكون على معرفة تامة بأساليبهم وأسرار مذاهبهم فيقرع حجة عقلية بحجة عقلية، ويحمي المسلمين من هجومهم وبث دعواتهم، فلم يقم بهذه المهمة ويحمل هذا العبء في ذلك العصر إلا المعتزلة .... ولا يدري إلا الله ماذا كان يكون من الشر على المسلمين لو لم يقفوا هذا الموقف وقت هجوم خصوم الإسلام بهذه القوة التي هجموا بها"[٢].

وقد قام المعتزلة بهذا الدور خير قيام، نظرا لأنه لم تستطع فرقة من الفرق الإسلامية مجاراة المخالفين ومناظرتهم، فكان للمعتزلة فضل

---

(١) النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، علي فهمي خشيم، ص ٤٩ بتصرف، دار مكتبة الفكر – طرابلس- ليبيا، ١٩٦٧م .

(٢) ضحى الإسلام، أحمد أمين ٣/ ٢٠٥ – ٢٠٧ بتصرف، مكتبة النهضة المصرية- الطبعة السابعة.



السبق في التسلح بسلاح الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وأساليب الجدال والمناظرة التي تجيدها الفرق المخالفة، فالمعتزلة حاربوهم بأسلحتهم، وناظروهم بطريقتهم.

٧ – سوء فهم المجتمع للمعتزلة:

كان المعتزلة –شأن رجال الإصلاح– يخالفون في أقوالهم ما اعتاده الناس من آراء وعقائد، فيجدون لذلك نفورا من العامة ومن رجال الفكر والمذاهب المختلفة، نظرا لإساءة فهم آرائهم، "برغم وضوح مبادئهم وسلامة طويتهم وحسن نيتهم في الذود عن الإسلام، فقد أساء مجتمعهم فهمهم، وكان مصيرهم في هذا الشأن مصير أكثر رجال الإصلاح، فارتابوا في نواياهم، وأساؤوا فهم طويتهم، وأولوا كلامهم تأويلات بعيدة عن مرامي أقوالهم فحملوها ما لا تطيق، ورموهم بالزندقة أحيانا وبالكفر أحيانا أخرى، وطعنوهم من كل جانب، فأجهضوا هذه الحركة في بدايتها"(١).

وقد كانت هذه الاتهامات –أو كثير منها– اتهامات ظالمة، لم تصدر بأدلة وبراهين، وإنما كانت عن تحامل واضح وتحيز لآراء مخالفة لآرائهم، أو حتى كانت معاداة لبعضهم فتم تعميم الاتهام على المعتزلة جميعا ليرموا بكل نقيصة ويتهموا بكل ضلال، "وكثير من التهم التي وجهت إلى المعتزلة لم تصدر عن إنصاف، بل كان التحيز رائد المتهمين، وليس من العدل أن ترمي المعتزلة جميعهم بضلالات بعضهم"(٢).

---

(١) مدخل إلى علم الكلام، ص ٢٢٠ .

(٢) المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، أحمد شوقي إبراهيم العرجي، ص ١٨٨، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.



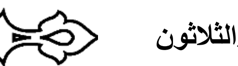
وقد ترتب على هذه المعاداة أنه تم اتهام المعتزلة بكثير من مظاهر الكفر والخروج من الدين والمروق من تعاليمه، وكانت هذه الاتهامات ذريعة للنيل من المعتزلة معنويا وماديا، إما بالنيل منهم أمام العامة والتنقيص من شأنهم، أو باستعداء السلطان عليهم، الأمر الذي أدى إلى إجهاض فكر المعتزلة مبكرا، "وقفوا أنفسهم على الدفاع عن الدين، وعلى نصرة مبدأ التوحيد، وأرادوا أن ينهضوا بالمسلمين بمحاربة الجهل ومقاومة الجمود الفكري، ومع ذلك فقد ارتاب القوم فيهم فرموهم بالزندقة والكفر، وخرجوا أقوالهم على الشر، ثم انبروا لقتالهم وطعنوهم من كل جانب، فاستعجلوا بذلك نهايتهم، فكان المعتزلة في حياتهم كوكبا سحريا سطع في أفق الشرق العربي فترة من الزمن وسرعان ما اختفى مخلفا الناس وراءه في ظلمة تكاد تكون دامسة وحيرة تكان تكون مؤنسة"[(١)].

٨ – وجود شخصيات اعتزالية بارزة:

تميز مذهب المعتزلة بوجود رجال من كبار العلماء والمفكرين، حملوا آراء المذهب ودافعوا عنها، وكانوا يمثلون المذهب بدقة في آرائهم وسلوكهم، وبرزوا في فنونهم وعلومهم، مما جعل المذهب ثريا بالشخصيات والآراء التي أثرت الحياة الفكرية الإسلامية، وغيرت مسار التفكير عند كثير من المسلمين.

"كان أهل الاعتزال يمثلون بحق التيار التحرري في الفكر الإسلامي، وهم رغم أخطائهم القليلة كانوا يهدفون إلى خير الإسلام ورفع

(١) المعتزلة، زهدي جار الله، ص ٢٤١.



مكانته والانتصار له، وكانت شخصيات رجال الاعتزال علامات بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي نعتز بها ونفخر"(١).

وقد تنوعت اهتمامات رجال المعتزلة، فكانوا من النخبة حقا في كل المجالات، لم يبرعوا فقط في الكلام والجدل الديني، وإنما برع منهم كثير في مختلف المجالات العلمية والشرعية والأدبية، فكان انتاجهم العلمي والأدبي متنوعا لا يبارى ولا يجارى.

"فأئمة المعتزلة يمثلون نخبة الفكر في الإسلام، هم فئة المثقفين، اشتهر بينهم رجال يتحلون بالآداب مثل الجاحظ والنظام والعلاف، وهم شعراء ومغنون، ولم يكونوا غير ذوي دين كما يدعي خصومهم كذبا واختلاقا"(٢).

وقد تمثل هؤلاء الرجال آراء المذهب بحق، فكانوا دعاة مصلحين قائمين بأفكارهم، يناضلون من أجلها، ويبذلون من أجل نشرها، فكانوا قادة يتمثل الأتباع سيرتهم، وكانوا "دعاة عقيدة، وقادة الحرية في الرأي، ومن أعظم المصلحين الدينيين الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري"(٣).

ولم يكتسب رجال المعتزلة هذه المنزلة من فراغ، بل كانوا عقولا عظيمة، وشخصيات بارزة، اتسموا بسمات شخصية وصفات رائعة جعلتهم مصدر إلهام وبعث للأفكار، "ويكفي الاعتزال فخرا أن ضم في صفوفه

---

(١) النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، علي فهمي خشيم، ص ١٢٣ .

(٢) فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غرديه، و ج قنواتي، نقله إلى العربية الدكتور صبحي الصالح، والأب الدكتور فريد جبر، ١/ ٩٠، دار العم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

(٣) مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان، ص ٧٨، دار القدس – بيروت .





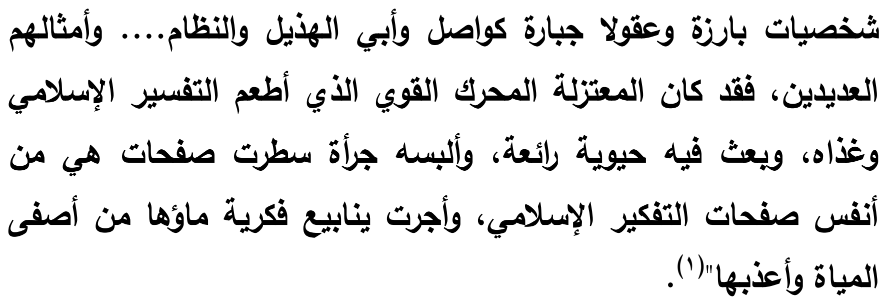
شخصيات بارزة وعقولا جبارة كواصل وأبي الهذيل والنظام.... وأمثالهم العديدين، فقد كان المعتزلة المحرك القوي الذي أطعم التفسير الإسلامي وغذاه، وبعث فيه حيوية رائعة، وألبسه جرأة سطرت صفحات هي من أنفس صفحات التفكير الإسلامي، وأجرت ينابيع فكرية ماؤها من أصفى المياة وأعذبها"(١).

وقد ظهر واضحا دفاع رجال المعتزلة عن مبادئهم في سبيل نشرها، وتراجم كبار رجال المعتزلة تشهد بهذا الدفاع، "المتتبع لحياة كبار رجال الاعتزال يجد أن أحدا لا يجاريهم في هذا الميدان، لأنهم كانوا يعتبرون العمل فيه واجبهم الأساسي، وهكذا فقد دافعوا عن التوحيد أشد دفاع، ورفضوا أن يتحول القول بوحدانية الله إلى نوع من التجسيم يعود بالمسلمين إلى وثنية جديدة، ودافعوا عن العدل الإلهي، وأبوا أن يناصروا الباطل فيرمي الله بالحيف والظلم تعالى الله عن ذلك، وأكدوا النبوة في أذهان الناس خشية أن تضعف تحت ضربات البراهمة وغيرهم"(٢).

٩ – غياب المعتزلة خسارة للعقل:

يرى أنصار المعتزلة أن غيابهم عن ساحة الفكر الإسلامي أضر بالمسلمين ضررا بالغا، وألحق بالعقل المسلم كثيرا من التغييب، حيث يرى الأستاذ أحمد أمين أن "من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة"(٣).

وقد كان تراجع المعتزلة وغيابهم عن ساحة الفكر الإسلامي من أجل غلبة الأفكار المناهضة لهم، واستقواء أهلها عليهم، وبغياب المعتزلة



(١) في سبيل السنة الإسلامية، محجوب بن ميلاد، ص ٩٣، ٩٤ .

(٢) مقدمة شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، ص ٣٥، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ .

(٣) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ص ٢٠٧ .

غابت الحياة العقلية أو ضعفت، وكادت الفلسفة أن تموت في العالم الإسلامي، " كان انتصار مذهب أهل السلف على المعتزلة في عصر المتوكل سببا من أسباب ركود الحركة الفلسفية في العالم الإسلامي"(١).

وقد كان غياب المعتزلة عن الأحداث أمرا مؤسفا، لأنه بغيابهم ساد الجهل والتقليد، وتوارى الداعون إلى التحرر والانطلاق، وازداد الساعون إلى الجمود والتقليد وإلغاء العقل، " إذا كان لنا أن نأسف على شيء فعلى أن هذه الطبقة انقرضت وامحت أكثر آثارها، فقد طغت عليها قوى الجهل، ونفثت فيها الرجعية سمومها، وأنشبت العامة أظفارها فأزهقت روحها وشوهت سمعتها وأحرقت أسفارها، فكان انهزام المعتزلة نصرا لدعاة التحجر، ودحرا لأنصار التحرر، وكان في ذلك تهبيط للعزائم وتثبيط للهمم"(٢).

ويمكن القول إنه بعد غياب المعتزلة فقد العقل مكانته في التفكير الإسلامي، فصار عقلا غير مفكر ولا مجدد، وخلت الساحة من المفكرين العقلانيين، وذلك طعن أي طعن في النقل أيضا، لأنه دون العقل لا يمكن للنقل والنص أن يصل إلى غايته في الإقناع والتأثير، "عندما استقر الأمر للعقل الكسيح وطحن التيار العقلاني من المعتزلة وسواهم، أصبح التشكيك في عقيدة أي إنسان حتى اليوم يكفيها أن تنسب لهذا الخط

---

(١) مقدمة في الفلسفة الإسلامية، عمر محمد التوني الشيباني، ص ٧٧، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

(٢) المعتزلة، زهدي جار الله، ص ٢٦٧ .



الفكري، ورسا مصير المعتزلة والاتجاه العقلاني في خانات الهرطقة، وبقيت الساحة عقلا من دون مراجعة، ونقلا من دون عقل"[(١)].

ويكاد يجمع أنصار الاعتزال على أن خسارة غياب المعتزلة أودت بالفكر الصحيح، وأن العالم الإسلامي كان في أمس الحاجة إلى المعتزلة، وأن بقاء المعتزلة كان كفيلا بتغيير وجهة العالم الإسلامي، والخروج من حالة غياب العقل والجمود التي ظل عليها، وأنه لو قدر الله تعالى بقاء أفكار المعتزلة منطلقة دون تقييد لها لكان للمسلمين شأن آخر، ولَمَا أخطأوا طريق النهضة، "يجمع الدارسون على أن الاعتزال يمثل محاولة لفهم العقيدة الإسلامية على ضوء العقل الإنساني، معظم الكتاب في هذا الباب كانوا إلى غاية العشرينات من هذا القرن يرون فيه تأويلا تحرريا أكثر ملاءمة لروح العصر الحديث، وأن المجتمع الإسلامي كان يستطيع أن يعرف النهضة التي عرفتها أوروبا فيما بعد لو ثبت على ذلك التأويل ولم يبدله بتأويل آخر كان من أهم عوامل انحصاره وجموده"[(٢)].

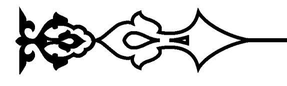
ويقول أحمد أمين: "لو سادت تعاليم المعتزلة إلى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي"[(٣)].

والحقيقة أن فكر المعتزلة كان كفيلا بإحداث تغيير جذري في العقلية الإسلامية إذا انتشر وتم استثماره جيدا، "ولو كان قد انتشر الاعتزال في البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها لما حصلت هذه

(١) مقال خالص جلبي في الشرق الأوسط، نقلا عن: المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد بن حامد الناصر، ص ٥١٣، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

(٢) مفهوم العقل، عبد الله العروي، ص ٧٨ .

(٣) ضحى الإسلام، ص ٧٠ .



مجلة كلية الدراسات الإسلامية

النكبات، ولو لم يحصل الارتجاع والانتكاس والجمود على المنقولات لكان العالم الإسلامي غير ما هو عليه اليوم"[١].

وبفقد آراء المعتزلة أصبح العقل المسلم غير قادر على الإبداع والانطلاق والتحرر، وصار حبيس التقليد والجمود الذي فرضته المذاهب الأخرى، فقد كانت المعتزلة أكبر عامل على تحرر العقل المسلم، حيث "فقد العقل المسلم بنفيها فرصة مبكرة للتدريب على ممارسة التعقل الحر داخل دائرة الإيمان"[٢].

ويبدو أن واقع التفكير الإسلامي فقد كثيرا من مكانته بغياب المعتزلة، مما يجعلنا نعلنها صراحة: إن غياب المعتزلة لم يكن في صالح الإسلام والمسلمين، وإن بقاءهم كان كفيلا بتغيير طريقة تفكير المسلمين، وباعثا على النهضة والتجديد والبعث الحضاري مرة أخرى، لأن قادة المعتزلة "هم أولئك المفكرون الأفذاذ الذين تحرروا من أسار التقليد، وانطلقوا خلف شعلة العقل المتوهجة في بحثهم عن الحق أين كان، وهم أولئك الرجال العظماء الذين لولا ما حاق بهم من مصير مؤسف دفعت بهم إليه الأيدي الرعناء لكان للمسلمين شأن غير هذا الشأن، ولكان للفكر الإسلامي واقع غير هذا الذي نراه اليوم"[٣].

وقد كان غياب المعتزلة وإقصاؤهم عن الحركة الفكرية بدافع من تدخل بعض المذاهب الإسلامية المخالفة التي أسرفت في عداء المعتزلة، ودفعت الجماهير إلى مناصبتها العداء، "وكان الأشاعرة ومن تمذهب

---

(١) هذا هو الإسلام، فاروق الدملوجي، ص ٣٥ .

(٢) السلطة في الإسلام، عبد الجواد ياسين، ص ١٦٩ .

(٣) النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، علي فهمي خشيم، ص ٩، ١٠ .

بمذهبهم من أهل السنة والجماعة يلعنون الفلاسفة والمعتزلة وأهل الفكر ومن ذهب مذهبهم، ويحرقون كتبهم تقربا للجمهور الجاهل، وزلفى إلى الله ... وبهذه الطريقة انطفأت الآراء الحرة من رؤوس المفكرين فكانت السبب في سقوط العالم الإسلامي من شاهق عزه، ولم يزل ينحدر ولا يرتقي"[١].

١٠ – ضرورة إحياء تراث المعتزلة:

يرى أنصار الاعتزال أن إحياء فكر المعتزلة وتراثهم ضرورة من ضرورات النهضة المعاصرة، وأنه لا بد لكي تواكب الأمة الحياة العقلية المعاصرة وتتقدم في طريق التجديد والنهوض والإحياء أن تعيد آراء المعتزلة ومنهجهم مرة أخرى إلى واجهة الحياة العلمية والعقلية.

يقول زكي نجيب محمود: "ما زلت أرى أنه لو أراد أبناء عصرنا أن يجدوا عند الأقدمين خيطا فكريا ليتمسكوا بطرفه فيكونوا على صلة موصولة بشيء من تراثهم، فذلك هو الوقفة المعتزلية من المشكلات القائمة"[٢].

وعلى الذين يريدون الإصلاح والإحياء للأمة الإسلامية، ويريدون أن يقتبسوا من النهضة الغربية أن يعودوا مرة أخرى إلى التراث الفكري الإسلامي، ومذهب المعتزلة هو الوحيد القادر على الإحياء والتجديد مرة أخرى، ولذا فإن أي محاولة للتجديد والإصلاح لا تمر عبر فكر المعتزلة

(١) هذا هو الإسلام، فاروق الدملوجي، ص ٦١ .

(٢) تجديد الفكر العربي، الدكتور زكي نجيب محمود، ص ١٢٣، دار الشروق، سبتمبر ١٩٧١م.

وتراثهم لن تواكب المشكلات المعاصرة، ولن تستطيع التعامل مع الأفكار الحديثة.

"القراءة الحديثة لتاريخ المعتزلة يحتمها الواقع الثقافي المعاصر على الذين يذهبون مذاهب الإصلاح والتجديد ويريدون أن يصدروا من تراثهم القومي ليبعثوا حركة إحياء وتجديد ويصححوا دعوات الذين يخاصمون قومهم وماضيهم وتراثهم، ويتوجهون إلى الغرب لينقلوا إلى بني قومهم نسخة مشوهة من الحضارة الغربية، فمن الأولى أن تنطلق من المنهج الاعتزالي الذي كان الوجه العقلي المستنير للحضارة الإسلامية، والوجه العقلي المعتصم بالكتاب والسنة الذي وقف أمام التيارات العاصفة والملل والنحل العاتية بإيمان وإخلاص أمام مناهضتها للإسلام"[١].

ولذا فإن النهضة المرجوة للبلاد الإسلامية، وإعادة الريادة الحضارية مرة أخرى لن تكون إلا عن طريق تراث المعتزلة العقلي وآرائهم المنفتحة، "إن نهضة البلاد الإسلامية في العصر الأخير تتسم بعودة فكر الاعتزال المعتدل وتمجيد العلم والعناية بالفلسفة"[٢].

وانطلاق الفكر الإسلامي وإعمال العقل مرة أخرى، والدعوة للحرية وإعلاء شأن العقل ونشر القيم الإسلامية لن يكون إلا بواسطة إحياء فكر المعتزلة، ونشر منهجهم العقلي ، الذي يعطي للعقل حرية الانطلاق، وللفكر حرية العمل بلا قيد، "إن إحياء روح المعتزلة في إعزاز العقل وتمجيده والرجوع إليه واعتباره الحكم والدليل، نقول إن إحياء هذه الروح

---

(١) المعتزلة تكوين العقل العربي أعلام وأفكار، الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، ص ٧، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، مقدمة الدكتور محمود قاسم، ص ٥، ٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.



يوجد الجرأة ويفتح الآفاق أمام الفكر، ويدفع إلى إعمال العقل وتحريكه، فلا تقوم مع هذا حركة رجعية، ولا تنجح محاولات لإيقاف مجرى التقدم، فإذا سادت روح المعتزلة الناس، وتغلغلت فيهم المباديء التي تقوم عليها من تمجيد للعقل وإيمان بالتحرر والانطلاق وتقديس لحرية الفكر لكان الناس والجماعات في علاقاتهم مع بعضهم على غير ما هم عليه من تباغض وأنانية ومطامع، ولنعموا بحياة آمنة عزيزة لا مكان للرجعية أو الكبت فيها، فتزدهر القيم الخلقية والإنسانية، وتسود المباديء التي تؤدي إلى التقدم والإنتاج والإثمار"[١].

وإحياء روح الاعتزال وآثار المعتزلة كفيل بعلاج كثير من المشكلات التي يعاني منها العقل المسلم، وتنقية الدين من كثير من مظاهر القصور التي لحقت به من الجهل والجمود والتقليد والتواكل، وقد ساعد المعتزلة قديما على مواجهة هذه المشكلات، ولا بد أن أفكارها قادرة على علاجها في الحاضر.

"إذا شئنا أن نقدم لأجيالنا الحاضرة والمستقبلة تراثا يمجد العقل ويؤصل فكرنا العقلي المتقدم، ويشيع في صفوفنا مناخا يساعد على ازدهار التفكير العلمي، فلا بد لنا من البحث عن البقايا التي تركها الزمن وخلفتها أحداثه من تراث أهل العدل والتوحيد وإحياء هذه الآثار ونشرها بين الناس.

وأننا إذا شئنا أن نزيل من حياتنا الآثار الضارة للتواكل والاتكالية السلبية بل والأنانية، وأن نشيع روح المسؤولية لدى إنساننا العربي المسلم المعاصر فلا بد وأن ندعم قيم الحرية والمسؤولية التي نقدمها له

(١) مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان، ص ١٠٢ .

اليوم بذلك التراث الغني الذي قدمه أهل العدل والتوحيد في ميدان حرية الإنسان ومسؤوليته عن أعماله ونتائجها، وكيف أنه حر مختار صانع لأعماله، بل خالق لها على سبيل الحقيقة لا المجاز، كما قرروا ذلك منذ قرون وقرون.

وأننا إذا شئنا تنقية معتقداتنا الدينية وشعائرنا الروحية من مظاهر الوثنية التي عادت بحكم القصور العقلي وترسبات البيئة إلى الاعتداء على نقاء التوحيد الإسلامي في أرقى صوره كما جاء به القرآن الكريم، فلا بد لنا من الانتفاع بالخصوبة الفكرية التي قدمتها لنا مدرسة أهل العدل والتوحيد في هذا المجال"(١).

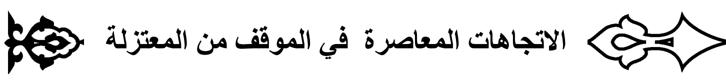
ثم نحن في حاجة لإحياء تراث المعتزلة لمواجهة المعتقدات والآراء التي تعيق تقدم العقل المسلم وانطلاقه، ومواجهة الأفكار التي تحجر على التقدم، والتصدي للأفكار التي تصادم العقل وتجعل هناك تنافرا بين العقل والنقل، "نحن في مواجهة خطر (السلفية النصوصية) الذي يتنكر للعقل والعقلانية، ويتعبد بظواهر النصوص حتى ما تعلق منها بوقائع تاريخ السلف وتجاربهم البشرية واجتهاداتهم الإنسانية، أمام هذا الخطر نجد أنفسنا أحوج ما نكون إلى بعض العقلانية الإسلامية التي تسعى على قدمين وتطير بجناحين هما العقل والنقل"(٢).

وقد خلفت لنا بعض الفرق الإسلامية مظاهر مشوهة وآراء جامدة وأفكار متخلفة، لا يمكن التعامل معه ورده إلا بنشر فكر المعتزلة، ولذا

---

(١) رسائل العدل والتوحيد، تحقيق الدكتور محمد عمارة، ١/١٠، ١١، دار الهلال ١٩٧١م.

(٢) المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، الدكتور محمد عمارة، ص ٥، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.



فإنه ينبغي "وجوب نشر تراث المعتزلة الذين شوهت آراؤهم على أيدي الأشاعرة ودعاة الجبر والتواكل في العالم الإسلامي"(١).

ومع ذلك فإن أنصار المعتزلة يعترفون بوقوع أهل الاعتزال في بعض الأخطاء التي عجلت بنهايتهم في العالم الإسلامي، ويرون أن إحياء تراث المعتزلة لا بد أن يقارنه تجنب هذه الأخطاء ومعالجتها لضمان الإحياء الصحيح، "فهل في الإمكان إحياء روح المعتزلة؟ أعتقد أن ذلك أمر لا بد منه إذا كنا نريد أن نسير مع الزمن ونجاري التقدم، وأنه غير مستحيل إذا تجنبنا الأخطاء التي
تردى فيها المعتزلة الأقدمون فأودت بهم"(٢).

وختاما: يعدد بعض الباحثين جملة من مآثر المعتزلة وإسهاماتهم في الفكر الإسلامي وعلم الكلام قائلا:

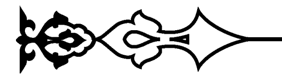
"جهودهم في إرساء أسس علم الكلام الإسلامي وتمهيدهم لظهور الفلسفة ودفاعهم عن الإسلام ضد خصومه فذاك أمر لا خلاف عليه بين الباحثين، وحسبنا أن نشير إلى عدة حقائق في هذا الصدد: أولا: يعزى الفضل إلى المعتزلة في اعتبار العقل مصدر المعرفة، ومن ثم حاربوا الخرافات والسحر والشعوذة وغيرها من الظواهر التي لا تخضع لمنطق العقل كرؤية الجن وانشقاق القمر(٣).

---

(١) متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، تحقيق عدنان زرزور، ص ٤، دار التراث – القاهرة .

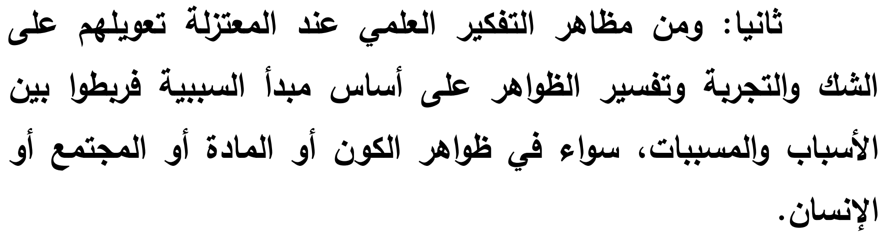
(٢) المعتزلة، زهدى جار الله، ص ٢٦٧ .

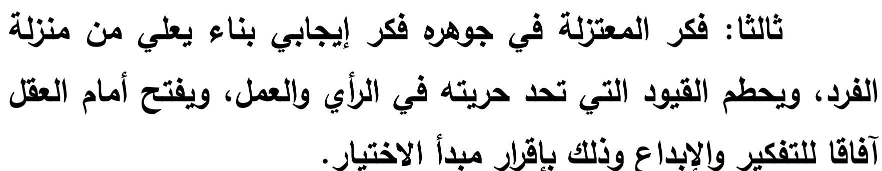
٣) القول بأن قضية رؤية الجن وانشقاق القمر من الخرافات والسحر والشعوذة حكم مجانب للصواب.





أما رؤية الجن، فإن الثابت أنه لا يمكن رؤيتهم على صورتهم وهيئتهم التي خلقهم الله تعالى عليها، أما رؤيتهم على صورة أخرى فهذا واقع وثابت في السنة ، ومن أصرح الأدلة على ذلك ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: "يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة"، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته، فخليت سبيله، قال: "أما إنه قد كذبك، وسيعود"، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك"، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: "أما إنه قد كذبك وسيعود"، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: "ما فعل أسيرك البارحة"، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: "ما هي"، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو


ثانيا: ومن مظاهر التفكير العلمي عند المعتزلة تعويلهم على الشك والتجربة وتفسير الظواهر على أساس مبدأ السببية فربطوا بين الأسباب والمسببات، سواء في ظواهر الكون أو المادة أو المجتمع أو الإنسان.


ثالثا: فكر المعتزلة في جوهره فكر إيجابي بناء يعلي من منزلة الفرد، ويحطم القيود التي تحد حريته في الرأي والعمل، ويفتح أمام العقل آفاقا للتفكير والإبداع وذلك بإقرار مبدأ الاختيار.

كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة»، قال: لا، قال: "ذاك شيطان".

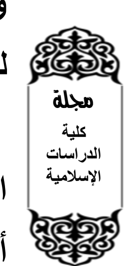
البخاري: كتاب "الوكالة" باب " اب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز"، رقم" ٢٣١١".

أما انشقاق القمر: فهو ثابت بالقرآن والسنة الصحيحة، قال تعالى: "{قتربت الساعة وانشق القمر}.

عون أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما. رواه البخاري: كتاب" مناقب الأنصار" باب "انشقاق القمر" رقم"٣٨٦٨".

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اشْهَدُوا".

رواه مسلم، كتاب "صفة القيامة والجنة والنار" باب " انشقاق القمر" رقم "٢٨٠٠".



رابعا: يلاحظ وجود تلازم وثيق بين الفكر العقلاني والاعتزالي وبين موقفهم الاجتماعي من قضية العدالة، فكان رواد التنوير دعاة للمساواة في ذات الوقت.

خامسا: وإذا كان المعتزلة قد أثروا الفكر الإسلامي بتأصيل التيار العقلاني فإنهم خدموا العقيدة الإسلامية ودافعوا عنها ضد خصوم الإسلام أكثر مما فعله أهل الحديث والسلفيون"[١].

تعقيب

بعد هذا العرض لرأي من يمجدون المعتزلة، ويرفعون منزلتهم في الفكر الإسلامي إلى درجة عالية، أعقب بما يلي:

١ – دعوى أن المعتزلة قاموا بالتوفيق بين العقل والنقل، وأنهم باعتمادهم على الدليل العقلي لم يهملوا الدليل النقلي، وجمعوا بينهما، دعوى يعوزها الدليل، ذلك أن المعتزلة اعتبروا الدليل العقلي هو العمدة في الاستدلال، وهو الأصل في الاحتجاج.

يقول الزمخشري: "امش في دينك تحت راية السلطان، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان، فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه"[٢].

ولما عد القاضي عبد الجبار الأدلة قَدَّم العقل على الكتاب والسنة، بل جعل العقل هو الطريق إلى معرفة الله تعالى دون غيره من الأدلة، قال:

---

(١) الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية، الدكتور محمود إسماعيل، ص ٨٧، ٨٨ بتصرف ، دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى أغسطس ١٩٧٣م .

(٢) أطواق الذهب في المواعظ والخطب، أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، ص ١٦، مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٤هـ.

"اعلم أن الأدلة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل؛ لأن ما عداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله"(١).

وعدَّ أبو علي الجبائي ما ورد من نصوص التوحيد والعدل في القرآن ورد مؤكدا لما في العقول، وأما أن يكون دليلا بنفسه يمكن الاستدلال به ابتداء فمحال"(٢).

فهذه النصوص تبين أن تقديم العقل على النقل كان أصلا من أصول المعتزلة، وأن الهدف لم يكن التوفيق بين النقل والعقل، وإنما كان تمكين العقل، وإخضاع النص القرآني للدليل العقلي.

٢ – أسهم المعتزلة –ولا شك– في بناء الحضارة الإسلامية، وقاموا بدور عظيم في إثراء الفكر الإسلامي عامة والكلامي خاصة، وكان لهم أثر عظيم في انتعاش الحركة العلمية وقت ظهورهم، لكن القول إن الحضارة الإسلامية والتقدم الفكري الذي حازه المسلمون كان مرهونا بالمعتزلة وهم أصحاب الفضل الأول في ذلك يعد تجنيا على المذاهب الأخرى التي كان لها فضل عظيم في الحضارة الإسلامية والفكر الكلامي، والنهضة العلمية.

فالمذهب الأشعري –مثلا– من المذاهب التي أسهمت في نهضة الأمة بتبنيه منهجا وسطا بين دعاة العقل المطلق وبين الجامد عند حدود النص وظاهره، وقد كان لعلمائه ورموزه قدرة عالية على إفحام خصومهم وتثبيت آرائهم، ولذلك فإنه يُعد نقطة تحول في تاريخ أهل السنة والجماعة

---

(١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور: عبد الكريم عثمان، ص٨٨، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) المغني في أبواب التوحدي والعدل، القاضي عبد الجبار، ١٧٤/٤ .

من ناحية تدعيم البنية العقدية بالأساليب الكلامية المنطقية، ويعد ذلك فارقا هاما بين الأشاعرة والمعتزلة.

يقول أبو الحسن الندوي: وكان الأشعري مؤمنا بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية وما ثبت عن الصحابة، وهذا مفترق الطريق بينه وبين المعتزلة، فإنه يتجه في ذلك اتجاها معارضا لاتجاه المعتزلة، ولكنه رغم ذلك يعتقد أن الدفاع عن العقيدة وغرسها في قلوب الجيل الإسلامي الجديد يحتاج إلى التحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين بأسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك، بل يعده من أفضل الجهاد وأعظم القربات في ذلك العصر"(١).

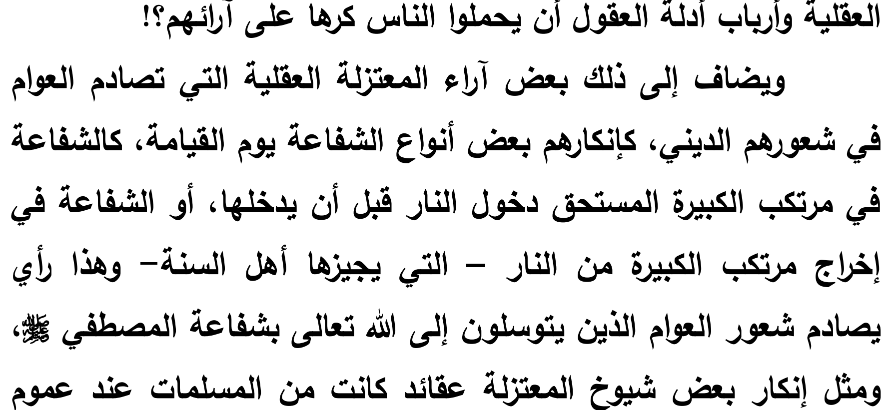
ولا يمكن القول إن الصعود الحضاري للمسلمين، والحركة الفكرية العقلية ارتبطا بصعود وأفول المعتزلة، لأن عوامل النهوض الحضاري لا يمكن أن تنتسب إلى فريق أو طائفة واحدة بمعزل عما سواها من العوامل الأخرى، كذلك فإن عوامل السقوط تتنوع ، ومَرَدُّ ذلك إلى الأمة بأسرها.

٣ – القول إن المجتمع كان في حالة عداء مع المعتزلة، لم يكن سببه أن الناس لم يفهموا المعتزلة حق الفهم، ولم يعرفوا حقيقة الدور الذي قاموا به للدفاع عن الدين، وإنما كان السبب الرئيس أن المعتزلة قاموا باستعداء المجتمع عليهم بكثير من الآراء العقلية والممارسات العملية التي جعلت عوام الناس تناصبهم العداء، فاستقواء المعتزلة بالخلفاء في مواجهة الإمام أحمد في محنة خلق القرآن، كان له أكبر الأثر في الموقف العامي

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ١٩٣، دار البن كثير – دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

من المعتزلة، لأن منزلة الإمام أحمد ومكانته بين جمهور المسلمين جعلت هذا الاستعداء سببا في الموقف العدائي من المعتزلة، ثم إن هذه المحنة تحديدا أظهرت لكثير من المسلمين أن المعتزلة قد يخالفون آراءهم ومبادءهم في سبيل سعيهم من أجل نشرها، فكيف بأصحاب الحرية العقلية وأرباب أدلة العقول أن يحملوا الناس كرها على آرائهم؟!



ويضاف إلى ذلك بعض آراء المعتزلة العقلية التي تصادم العوام في شعورهم الديني، كإنكارهم بعض أنواع الشفاعة يوم القيامة، كالشفاعة في مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها، أو الشفاعة في إخراج مرتكب الكبيرة من النار – التي يجيزها أهل السنة– وهذا رأي يصادم شعور العوام الذين يتوسلون إلى الله تعالى بشفاعة المصطفي ﷺ، ومثل إنكار بعض شيوخ المعتزلة عقائد كانت من المسلمات عند عموم المسلمين، مثل: عذاب القبر، والصراط .. الخ .

٤ – برز في مذهب المعتزلة عدد من الشخصيات الذين حملوا المذهب وآراءه، وبروزا في عدد من العلوم والفنون، وكانوا خير مدافعين عن أفكارهم علميا وعمليا، والحقيقة أن هذه الميزة كانت عامة في الفرق الإسلامية في ذلك العصر، حيث اشتهرت المذاهب والفرق الإسلامية بوجود رجال وعلماء كانوا مؤسسين، نبغوا في علوم شتى، فمذهب الأشاعرة كان من أبرز عوامل انتشاره تأسيسه على يد أبي الحسن الأشعري، ثم وجود رجال قاموا بالمنافحة عن آراء أبي الحسن إما بإعادة صياغتها وعرضها في قالب جديد، أو بتجديد المسائل التي يعرضونها، ووضع أسس وقواعد للمذهب، من أمثال:

القاضي أبو بكر الباقلاني : [٣٢٨-٤٠٢هـ]

إمام الحرمين أبو المعالي الجويني : [٤١٩-٤٧٨هـ]

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

٥ – الزعم بأن غياب المعتزلة عن مسرح الحياة الفكرية كان سببا في تدهور الحضارة الإسلامية، وأن أكبر خسارة لحقت بالأمة إنما تمثلت في غياب المعتزلة، فيه مبالغة غير مقبولة، لأن الحضارة الإسلامية قامت على عدة عوامل متضافرة فيما بينها، منها: ظهور الفرق الإسلامية، وانتشار الإسلام في بلدان العالم الإسلامي وسيطرة الدولة الإسلامية على مقاليد الحكم في مشارق الأرض ومغاربها، إضافة إلى الحرية العلمية التي كانت سائدة آنذاك في العالم الإسلامي، وما تدهورت الحضارة وتراجع الفكر الإسلامي إلا بسبب غياب هذه العوامل مجتمعة، فالزعم أن سببا واحدا من هذه الأسباب كان عاملا رئيسا في التراجع العلمي والحضاري زعم يغفل العوامل الأخرى.

٦ – تمتع المعتزلة بالجرأة والحاسة النقدية أمر طبيعي في ظل اعتماد المعتزلة على العقل وتقديمه على ما سواه من الأدلة، الأمر الذي يجعل شأن العقل واعتراضاته محل اهتمام عظيم من المعتزلة.

لكن عند المقارنة بين مواقف الجرأة عند المعتزلة وبين مخالفيهم، فإن المقارنة لا تكون في صالح المعتزلة.

وبالعودة مرة أخرى إلى محنة خلق القرآن نجد ما يعضد ذلك، فقد كان الإمام أحمد –خصم المعتزلة في هذه المحنة– أصلب رأيا، وأشد تمسكا بقوله في مواجهة علماء المعتزلة ومن خلفهم السلطة المؤيدة لآرائهم متمثلة في الخليفة الذي اعتنق مذهبهم.

ويمكن القول إن المعتزلة ما تمسكوا برأيهم بهذه القوة إلا لوجود قوة تدعم آراءهم، وسلطة تدافع عنهم وتسعى لفرض مذهبهم، بدليل أنه

عندما تخلى الخلفاء بعد ذلك عن مذهبهم وتعرضوا لبعض التنكيل أدى ذلك إلى اندثار مذهب المعتزلة أو اختفائه عن مسرح الأحداث.



٧ – الدعوة إلى إعادة إحياء تراث المعتزلة من أجل استعادة النهضة، يمكن الاتفاق مع أصحابها في جزء منها ورفض جزء آخر.

فمحاولة إحياء تراث المعتزلة باعتباره منهجا من مناهج الاستدلال الذي مارسته بعض الفرق والمذاهب، ولأنه كان عاملا من عوامل النهضة للأمة الإسلامية في وقت ما من الأوقات، وطريقة من طرق الدفاع عن الإسلام في وقت تعرض فيه للهجوم من طوائف شتى من المخالفين.

أما الزعم بأن هذا الإحياء لا بد فيه من التنكر للمناهج المخالفة، والأخذ بالمدرسة الفكرية الاعتزالية بكامل آرائها، فهذا حجر على الآراء والمذاهب الأخرى التي كانت عاملا من عوامل النهضة.

وكلام بعض المؤيدين للمعتزلة بصيغة القصر والحصر أن طريق العودة لن يكون إلا بالعودة إلى أفكار المعتزلة وطرق معالجتهم للمشكلات مردود بما ذكرته من أن النهضة والحركة العقلية في الإسلام لم تقم على أكتاف طائفة دون أخرى.

المبحث الثالث

الاتجاه الثالث: الموازنة في الحكم

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى الموازنة في الحكم على المعتزلة، فمن جهة خالف المعتزلة أهل السنة في كثير من الآراء، واتخذوا منهجا عقليا مخالفا، وكانت لهم آراء خالفوا بها إجماع المسلمين، لكنهم على الجانب الآخر كانت لهم مواقف مشهودة في الدفاع عن الإسلام ومواجهة المخالفين ومناظرة أصحاب الملل والديانات الأخرى ورد شبهاتهم، ولذا فإنه من الإنصاف عند الحديث عن المعتزلة ذكر ما لهم من إيجابيات، وما يؤخذ عليهم من مآخذ.

ولذا فإنه عند الجمع بين آراء أصحاب الاتجاهين السابقين –دون مغالاة وتعصب– يظهر لنا أن كليهما على صواب، لكن كل فريق غالى في رأيه دون نظر للآراء الأخرى.

ويمكن الجمع بين الرأيين على النحو التالي:

١ – منهج عقلي مع شذوذ فكري:

كان المعتزلة –ولا شك– أصحاب منهج عقلي متميز، لكنهم أسرفوا في استخدام العقل بدرجة كبيرة، مما أدى بهم إلى بعض الشذوذ في الأفكار، "ومهما تكن المآخذ التي قد تؤخذ على منهج المعتزلة في إسرافهم في استخدام العقل في الدين، إلا أنه مما لا شك فيه أنه يرجع إليهم الفضل في انتعاش الحركة العقلية في الإسلام، ولقد اعترف بذلك خصومهم"(١).

(١) الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، الدكتور علي عبد الفتاح المغربي، ص ١٩٦، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

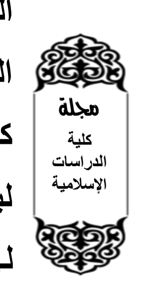
لقد كان المنهج العقلي عند المعتزلة منهجا مؤثرا في الفكر والحضارة الإسلامية، واستطاع حل كثير من الإشكالات، إلا أن الإسراف في استخدام العقل أوقعهم في كثير من التناقضات التي حالت دون بقاء فكر المعتزلة.

"لقد نجح المعتزلة حيث يمكن أن يفلح النهج العقلي والنسق الأخلاقي في مجال الدين، نجحوا في أن ينقحوا تصور الإنسان للألوهية من شوائب الحس وملابسات الجسم، وإن أدى بهم ذلك إلى أن تتغلب صفات السلب على تصورهم للذات الإلهية، فضلا عن تجريدهم علاقة الإنسان بربه من كل تصور ذوقي.... ونجح المعتزلة بصدد صلة الله بالإنسان في أن يربطوا الدين بمضامين أخلاقية، ولكنهم أخضعوا الأحكام الإلهية للتقييم الأخلاقي، لقد التمسوا تعليل كل فعل إلهي، وفاتهم أن هناك أحكاما توقيفية، على أن ما يؤخذ على المعتزلة سواء في مجال الفكر أم في مجال العمل محنة أحمد بن حنبل، لا يحول دون أن تبقى فرقة المعتزلة في علم الكلام بخاصة وفي الفكر الإسلامي بعامة ممثلة للتفكير العقلي في أوج ازدهار الحضارة الإسلامية"[١].

ورغم شذوذ بعض أفكار المعتزلة، وجنوحهم في بعض الآراء. وإطلاق العنان للآراء العقلية في العقائد إلا أنهم مع ذلك يمثلون الفلسفة الإسلامية الحقيقية.

"فلاسفة الإسلام حقا، لأنهم درسوا العقائد الإسلامية دراسة عقلية مقيدين أنفسهم بالحقائق الإسلامية غير منطلقين في غير ظلها، فهم

(١) في علم الكلام دراسة فلسفية المعتزلة، الدكتور أحمد محمود صبحي، ص ٣٥٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢م.



يفهمون نصوص القرآن في العقائد فهما فلسفيا، ويغوصون في فهم الحقائق التي تدل عليها غير خاضعين للشريعة ولا متحللين من النصوص، قاموا بحق الإسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد كيد الزنادقة والملاحدة والكفار في نحورهم، وكان لا بد من وجودهم ليوقفوا تيار الزندقة الذي طم في أول ظهور الدولة العباسية... كما أن لهم شذوذا في الفكر وشذوذا في الفعل، وذلك يحدث كثيرا ممن يطلق لعقله العنان ولو في ظلال النصوص"(١).

ولهذا فإنه يجب إخضاع آراء المعتزلة للدراسة دون تحامل أو تعصب، والنظر لهذه الأفكار بمعزل عن الأحكام المسبقة عن المعتزلة سواء بالقبول أو بالرد.

"من الواضح اتفاق أهداف المعتزلة مع شرع الله سبحانه وتعالى، لكن ليس معنى هذا أن نسلم به على إطلاقه، ولكن علينا أن نبحثه بترو من جديد، ونبتعد عن أي قول به تطرف، وهذا القول إن وجد فهو استثناء لا ينال من شرف الغاية التي من أجلها أسس هذا المذهب"(٢).

٢ – شطح مع دفاع عن الدين:

رغم جنوح المعتزلة في كثير من آرائهم العقلية، واعتدادهم بالعقل مما أوقعهم في كثير من المخالفات، إلا أنهم مع ذلك كانوا في طليعة الفرق الإسلامية التي تصدت للزنادقة والملاحدة ومن قبلهم لأصحاب الديانات المحرفة، فقاموا بالرد عليهم ولإبطال حججهم، "كان للمعتزلة مع

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٦١، ١٦٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٦م.

(٢) المعتزلة نشأتهم فرقهم، صلاح أبو السعود، ص ١٢٨.

الزنادقة دور كالذي قاموا به مع اليهود والنصارى، فقد تصدوا لهم وناقشوهم وأبطلوا حججهم، وردوا مكائدهم بحماس شديد وإيمان عميق، وهذه كتبهم كلها أو معظمها إنما ألفت للرد على المخالفين من جهمية ورافضة ودهرية وثنوية .... ولم يألوا جهدا في مناقشة الزنادقة وإفحامهم"[١].

فمع جهود المعتزلة لنشر الإسلام والدفاع عنه إلا أنهم أخفقوا في التعامل مع المخالفين لآرائهم، مما أوقعهم في مخالفة لمبادئهم التي تنادي بالحرية، "مما يذكر للمعتزلة أنهم كانوا شوكة قوية في صد مبادئ الزندقة، وقاموا بجهود كثيفة لنشر الإسلام، إلا أنهم لم يحسنوا التصرف إزاء القول بخلق القرآن وغيره من المبادئ التي عجلت باضطهادهم بعد قوتهم وشدة جانبهم"[٢].

وأكثر ما أخذ على المعتزلة –مع الاعتراف بجهدهم في الدفاع عن الإسلام– هو ذلك العنف الذي مارسوه مع مخالفيهم، واستعداء السلطان على كل من لم يلتزم بآرائهم، كما حدث مع الإمام أحمد في محنة خلق القرآن.

"وللمعتزلة بإجماع الآراء صفحة مشرقة في دفاعهم عن الإسلام ضد النصارى واليهود والزنادقة والملاحدة، وقد كان هذا هو الذي دفعهم لدراسة الفلسفة الإغريقية وأساليب المنطق ومختلف الديانات، فأغنوا

---

(١) الفكر السياسي عند المعتزلة، الدكتور نجاح محسن، ص ٢٣٣، دار المعارف، بدون.

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي العواجي، ١١٦٤/٣، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

الفكر الإسلامي بمؤلفاتهم، وقد كانوا على درجة كبيرة من البيان والفصاحة، لكنهم كانوا محل نقمة من القرون التي تلت لعاملين، الأول: استخدامهم السلطة في إيذاء مخالفيهم، الثاني: عدم تحرجهم أو تأثمهم في إعمال العقل في أي قضية مهما بلغت حساسيتها وقداستها عند المسلمين"(١).



فتعصب المعتزلة لرأيهم -وخصوصا في مسألة خلق القرآن- كان أعظم أسباب النقمة على المعتزلة، كان من الممكن لجهود المعتزلة في الدفاع عن الإسلام أن تؤتي ثمارها بصورة أكبر، وكان يمكن للمخالفين أن يقروا بجهودهم ويثنوا عليها لولا مسلك المعتزلة في الانتصار لآرائهم.

"والذي يؤخذ على المعتزلة تاريخيا هو تطرفهم في مسألة خلق القرآن، وجعلها من أصول العقيدة وإلزام الناس بها.... وما نقوله ليس من قبيل التحامل عليهم، ولكن من قبيل مناقشة الوقائع التاريخية ووضع الأمور في نصابها الصحيح، ومن ثم لا ننكر جهود المعتزلة في الدفاع عن الإسلام ضد العقائد المختلفة كالنصرانية والمانوية، فكانوا من أكثر الطوائف الإسلامية احتكاكا بأصحاب الديانات المخالفة للإسلام، ولهم في هذا المجال مجهودات تذكر فتشكر"(٢).

وقد أدى استعانة المعتزلة بالحكام في فرض آرائهم، والاستقواء بهم على مخالفيهم إلى فقدهم كثيرا من تأثيرهم في المجتمع، "ومهما كان الأمر فبالرغم من جنوح المعتزلة في كثير من الأحيان إلى الشطح في

---

(١) من قضايا الرأي في الإسلام، أحمد حسين، ص ١٢٢- ١٢٣، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بدون.

(٢) وحدانية الألوهية بين المعتزلة والأشاعرة، خالد عبد الحليم السيوطي، ص ٤٨-٤٩، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

التفكير والتعبير، وبالرغم من انتهاج الشدة والاستعانة بالحكام والخلفاء في نشر مذهبهم فقد دافعوا عن الإسلام ضد الزنادقة والمجسمة والرافضة وغيرهم ممن لو تركوا وشأنهم لكان خطرهم على المسلمين شديدا"(١).

وقد كان هذا التوجه في الدفاع عن الدين ومواجهة الزنادقة والملاحدة بتشجيع من الخلافة العباسية لمواجهة خطر الإلحاد الذي انتشر في ذلك الوقت، "لما جاءت الدولة العباسية وقد طم سيل الإلحاد والزندقة وجد خلفاؤها في المعتزلة سيفا مسلولا على الزنادقة، لم يغلوه بل شجعوهم على الاستمرار في نهجهم"(٢).

٣ – مخالفة لأهل السنة مع جهاد للمخالفين:

خالف المعتزلة أهل السنة في أكثر آرائهم، وانتصروا لمواقفهم بصورة كبيرة، ومع ذلك قاموا بجهد دفاعي، وجرأة منقطعة النظير في التصدي للمخالفين، "والمعتزلة هؤلاء وإن كانوا يعابون على مخالفتهم لأهل السنة والجماعة إلا أنهم في الوقت نفسه يحمدون بقدر ما بذلوه من جهد نظرا لتفاعلهم وموقفهم العام من الجماعات غير المسلمة التي تكونت داخل المجتمع الإسلامي"(٣).

---

(١) إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة، ص ٤٠٨، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م.

(٢) دراسات في الفرق القديمة والمعاصرة، عبد الله الأمين، ص ٢٢٣، دار الحقيقة – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩١م.

(٣) آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويما، علي بن سعد بن صالح الضويحي، ص ٥٤، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

وقد كانت براعة المعتزلة في الناحية العقلية والمنطقية، واطلاعهم على الآراء الفلسفية، وقيامهم بالتصدي لها أكبر الأثر في طغيان الجانب الفلسفي عندهم لدرجة التغطية على الجانب الديني، حتى يمكن القول إنهم فلاسفة الإسلام حقا، "لجأوا أولا إلى العقل والمنطق، وقد برعوا في ذلك براعة كبرى، وألموا بالآراء الدينية والفلسفية المحيطة بهم على اختلافها، غير أن نزعتهم العقلية دفعتهم لأن يطبقوا قوانين العقل على عالم السماء كما طبقوها على عالم الأرض، فقادتهم إلى آراء لا تخلو من جرأة، وانتهت بهم إلى فلسفة إلهية لا تلتزم دائما كل ما ينبغي من معاني الجلال والكمال"(١).

٤ – زعماء أعلام مع انحراف المنهج:

يفخر المعتزلة بوجود عدد من أعلام المذهب كانوا في غاية التمثل بآرائهم، وكانوا أصحاب علم وأدب وقدرة عقلية فائقة، وأسهموا في نشر المذهب بجهودهم، وسعوا في نشر آرائه، حتى مع مخالفة هذه الآراء للمنهج الصحيح، " ولئن خرج المعتزلة عن سمت الإسلام وكثرت انحرافاتهم، فإن لهم العديد من الفضائل تتمثل في مقاومة بعض زعمائهم من ذوي النفوذ لعدد من الماجنين تطبيقا لمبدئهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٢).

وقد قام أعلام المعتزلة بجهد فائق في سبيل نشر أفكارهم، وفي مواجهة المخالفين بشتى طوائفهم، بالجدال والمناظرة، وبطرائق الفلسفة

---

(١) في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، الدكتور إبراهيم مدكور، ٣٧/٢-٣٨، المكتب المصري للطباعة والنشر.

(٢) موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، أبو لبابة حسين، ص ١٦٩، دار اللواء، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

والمنطق، فأبلوا بلاء حسنا، "شارك أعلامهم في هذه الحملة بجوب البلاد، وإقامة حلقات الدرس لمناقشة مخالفيهم ومجادلة الملحدين والمعاندين، ورد شبه الخوارج والمرجئة، ومقاومة المسيحيين واليهود والمجوس بفرقهم المختلفة التي تمالأت على الإسلام لإيقاف مده، وقد استخدموا طرائق الفلسفة لإثارة الشبه والشكوك حول الإسلام، واستطاع المعتزلة استخدام هذا السلاح نفسه بعد أن أحاطوا بمختلف المذاهب الفلسفية والآراء الدينية، وتزودوا بفنون الجدل والمناظرة، وبذلك تمكنوا من إعادة بعض من ضعف إيمانه من المسلمين إلى طمأنينة الإيمان، وإفحام هؤلاء الأعداء الكثر، إلا أنهم أفسدوا الكثير من علوم الشريعة بتحكمهم واستنادهم إلى الهوى"(١).

وقد أفاد هؤلاء الزعماء الأمة الإسلامية برصيد ضخم من الآراء العقلية والأفكار الحضارية التي ساهمت في نهضة الأمة، وأنجزوا بنيانا فلسفيا عميقا يبرز دور العقل في الإسلام، ويواجه الذين ينكرون ذلك بأدلة وبراهين عقلية، وقد كان القاضي عبد الجبار أبرز هؤلاء الأعلام، فقد كان "علما من أعلام المعتزلة الذين حملوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن الإسلام مستندين على أدلة عقلية ونقلية جابهوا بها أصحاب الملل والنحل ودعاة المذاهب والرؤى المنحرفة، مما أفاد وجعل الأمة تملك رصيدا ضخما وفلسفة شامخة، قد نختلف مع المعتزلة في بعض ما ذهبوا إليه ولكن هذا لا يمنع أن نشيد بجهودهم وفضلهم في نهضة الفكر

---

(١) موقف المعتزلة من السنة النبوية، ص ١٧١ .

الإسلامي وازدهاره، ويكفيهم فخرا مواقفهم الشجاعة في دفع الشبهات ودحض الأباطيل التي كان يروجها أعداء الإسلام"[١].

٥ – حرية عقلية مع إجبار للمخالفين على آرائهم:

إذا كانت الحرية العقلية التي انتهجها المعتزلة في آرائهم، واستخدموها في تأسيس أفكارهم محمودة، فإنها تواجه تناقضا عجيبا إذا وضعت في مقارنة مع استعانة المعتزلة بالخلفاء في فرض آرائهم وحمل الناس على اعتناقها، وقد ظهر هذا واضحا في محنة خلق القرآن، "كان يمكن أن يذهب المعتزلة في التاريخ الإسلامي علما على ازدهار الإيمان بالعقل في الإسلام ورفعه مكانا عليا، لولا أنهم عندما واتتهم الظروف وتقلدوا السلطة بعد أن اعتنق الخليفة المأمون مذهبهم وقرب منه زعماءهم استغلوا هذه المكانة التي وصلوا إليها لكي يحملوا الناس على أفكارهم ومبادئهم حملا"[٢].

وقد تقدم الحديث عن هذ التناقض.

٦ – استمرار تأثيرهم رغم أخطائهم:

يمكن القول إن المعتزلة اجتهدوا في مجالهم فأصابوا حينا وأخطأوا حينا، ولا يمكن وصفهم إلا بالاجتهاد الذي يحصل أصحابه أجر المجتهد حتى عند الخطأ، "كون هذه الفرقة مجتهدة لها ما للمجتهدين أمر لا

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، المقدمة الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة ،الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٢) من قضايا الرأي في الإسلام، أحمد حسين، ص ١٢٨ .

يرتاب فيه منصف، والمجتهد معذور بل مأجور وإن أخطأ، وإن انتفى الإثم عن المجتهد فأنى يصح نبزه بالألقاب السوء والحفيظة عليه"(١).

وقد كان لآراء المعتزلة صدى كبير حتى بعد اختفائهم عن ساحة الحياة الفكرية الإسلامية، فتأثر بهم كثير من الفرق الإسلامية حتى من أهل السنة، فقد "لعب المعتزلة دورا أساسيا في تاريخ المسلمين من الوجهة النظرية والعملية، فقد كانوا إيجابيين لم يفصلوا بين النظرية والتطبيق، وقد كانت لهم في التطبيق أخطاء لكنها لا تلغي فضائل هذه الفرقة وما أثارته في تاريخ المسلمين من حركة وحياة، وإن سقوط المعتزلة لا يعني زوال تأثيرهم، فقد استمر هذا التأثير حتى في مدرسة أهل السنة، وكان من بين مظاهره كبح جماح الحركة التقليدية وإفساح المجال للعقل كي يمارس فاعليته في الدفاع عن الدين وخدمة قضاياه بصورة لم تكن ميسرة لولا جهود المعتزلة في هذا المجال"(٢).

تعقيب

بعد هذا العرض للاتجاهات الثلاثة في الحكم على المعتزلة، أعقب عليها بما يلي:

١ – هذه الاتجاهات الثلاثة في الحكم على المعتزلة ليست آراء حديثة معاصرة، وإنما هي جملة آراء الأقدمين في المعتزلة وأفكارهم، فقد تنوعت آراء السابقين أيضا بين الهجوم والتمجيد والموازنة.

---

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، ص ١٠٦، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٢) الفكر السياسي عند المعتزلة، نجاح محسن، ص ٢٤٧ .

فممن تحامل على المعتزلة، عبد القاهر البغدادي، حيث قال: "فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق ... سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها"(١).

وممن مال إلى ذلك الملطي، يقول: "واعلم أن للمعتزلة من الكلام ما لا أستجيز ذكره؛ لأنهم خرجوا عن أصول الإسلام إلى فروع الكفر"(٢).

وقد ألف يحيى بن أبي الخير العمراني [ت ٥٥٨هـ] كتابه (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار)، وكان مما ذكر فيه: "فضائح القدرية، وذلك أنهم ردوا السنة كلها، وأبطلوها، وتأولوها على آرائهم الفاسدة، فهم كمن رد على النبي قوله في حياته"(٣).

وذهب فريق آخر إلى تمجيد المعتزلة والثناء عليهم والمبالغة في ذلك، حتى عدهم البعض فوق كل الفرق والمذاهب، كما قال بعضهم: "المعتزلة ينظرون إلى جميع المذاهب بالعين كما تنظر ملائكة السماء إلى أهل الأرض، وكل متكلم بعدهم يغترف من بحارهم، ويمشي على آثارهم، ولهم في معرفة المقالات والمذاهب المبتدعات تحصيل عظيم وحفظ عجيب

---

(١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ص ٩٣- ٩٤ ، دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبع الثانية ١٩٧٧م.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسين الكوثري، ص ٤١، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف – الرياض، ١٩٩٩م .

وغوص بعيد لا يقدر عليه غيرهم، ينقدون المذاهب كما تنقد الصيارفة الدنانير والدراهم"(١).

ونقل الأستاذ زهدي جار الله في كتابه عن المعتزلة، عن أبي بكر الخوارزمي [ت٣٨٣هـ] قوله: إن العراق يحسد على أشياء كثيرة، منها أن الاعتزال بصري(٢).

وأنصف فريق ثالث فوازن بين حسنات المعتزلة وسيئاتهم، فذكر ما لهم من إيجابيات يحمدون عليها، وذكر ما عليهم من مثالب تؤخذ عليهم، ومثال ذلك ما قاله ابن تيمية: "يتحرون الصدق كالخوارج، لا يختلقون الكذب كالرافضة، ولا يرون أيضا اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج، ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول، ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض، وهم قصدهم إثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته، وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس، لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس"(٣).

٢ – الانشغال بالمعتزلة والموقف منهم –سلبا أو إيجابا– يدل على مدى تأثير المعتزلة في الفكر الإسلامي، فقد أحدثوا جوا فكريا، وجدلا عقليا أثار العقول، فانطلق المتابعون بين متأثر بالاعتزال يمدح ويتابع، وناقم على آرائهم ينقد ويخالف، ولا شك أن ذلك يدل على قوة آراء المعتزلة، وما أحدثته من حراك عقلي، واستثارة للأفكار، فانشغل الناس بهم بين مناصر

(١) الحور العين، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: كمال مصطفى، ص ٢٠٦، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٤٨م.
(٢) المعتزلة، زهدي جار الله، ص ٢٤٣ .
(٣) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، ٩٨/١٣، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

ومعارض، وأصبحت آراؤهم محور استدلال وبيان من فريق، ومحور نقض وهدم من فريق آخر.

وفي هذا دليل على التأثير الواضح للمعتزلة في محيط الفكر الإسلامي.

٣ – من الطبيعي أن تتنوع الآراء في الحكم على الأفكار التي اعتنقها المعتزلة، وهذه طبيعة الأفكار في أي وقت ومع أي فرقة، ذلك أن العقول متفاوتة والأفهام متباينة، فمن الناس من يستحسن أصول المعتزلة وقواعدهم ويبني على ذلك تعصبه لآرائهم، ومن الناس من يرفض أصول المعتزلة ويبني على ذلك رفضه لآرائهم.

ومن طبيعة الآراء التي تستند على دليل عقلي أن تتفاوت الأنظار في الحكم عليها قبولا ورفضا.

٤ – ترجع بعض أسباب انتقاد المعتزلة والهجوم عليهم من قبل المخالفين إلى طريقة المعتزلة ومنهجهم في التعامل مع الخصوم، فانشغال المعتزلة بالدفاع عن آرائهم، وكثرة الجدال مع الخصوم، وتبنيهم نهج المناظرة وإفحام الخصوم، أورثهم قدرا من الحدة والشدة في التعامل مع خصومهم، إضافة إلى استعانة المعتزلة بالخلفاء المناصرين لهم والذين اعتنقوا آراءهم – كالمأمون– في فرض آرائهم بالقوة وحمل المخالفين على الخضوع لها والدعوة إليها، كل هذا جعل عموم المسلمين ينظرون إلى المعتزلة نظرة الخصم المعاند، الأمر الذي زاد من حدة الخصومة والانتقاد.

٥ – مما يلاحظ بين أنصار التيار الداعم لآراء المعتزلة أن بعضا ممن يتبنى هذا التيار يعتمد آراء مخالفة للمنهج الإسلامي عموما، ويميل في جملة آرائه إلى الطعن في كثير من الآراء الإسلامية، ويحاول الاستدلال

على صحة آرائه بالاعتماد على آراء المعتزلة باعتبارهم أصحاب المنهج العقلي في الإسلام.

وليس هذه الأمر جديدا على الاعتزال وأنصاره، فقد كان بعض الملحدين قديما من أنصار الاعتزال في أول أمرهم، وحاولوا الدخول من بوابة الاعتزال للطعن في العقائد الإسلامية، فكان هذا مطعنا على الاعتزال حتى بعد تخلص المعتزلة منهم.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "كان كثيرون من ذوي الإلحاد يجدون في المعتزلة غشاء يفرخون منه بمقاصدهم وآرائهم، ويلقون فيه دسهم على الإسلام والمسلمين، حتى إذا ظهرت أغراضهم أقصاهم المعتزلة عنهم، فابن الراوندي كان يعد منهم، وأحمد بن حائط وفضل الحدثي كانوا ينتمون إليهم، وهؤلاء أظهروا آراء هادمة لبعض المقررات الإسلامية، وكان منهم من اتهم بأنه استؤجر لليهود لإفساد عقيدة المسلمين، فكان انتماء هؤلاء في أول أمرهم وإن فصلوا عنهم عند ظهور شنائعهم سببا في أن ينالهم رشاش مما لطخوا به، وإن أقسم شيوخ المعتزلة أنهم منهم براء فالاتهام ما زال عالقا، لأنه أسبق إلى الأذهان من البراءة"(١).

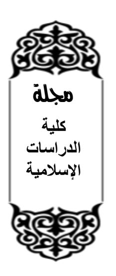
وقد ظهر هذا الأمر واضحا في العصر الحديث، فكثير ممن يمجد آراء المعتزلة ويتبناها ويدعو للعودة إليها يقف موقفا معاديا للتراث الإسلامي بجملته، ويجد في آراء المعتزلة ما يدعم موقفه، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا لا يعد مطعنا على فرقة المعتزلة، لأنه من باب إساءة التعامل مع آرائهم وحملها على ما لا يقصده أصحابها.

---

١) تاريخ المذاهب الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٢٨- ١٢٩ .

٦ – اعتماد المعتزلة على العقل في جملة آرائهم أدى إلى مصادمة عموم المسلمين في بعض المسائل العقدية التي يعتقدونها وتمس جانبا عاطفيا عندهم، من أمثال ذلك إنكار بعض أنواع الشفاعة يوم القيامة، وهي العقيدة التي تمس جانبا من محبة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تُعد نوعا من الاطمئنان النفسي في حال التقصير، وقد أدي ذلك إلى نوع من العداوة مع عموم المسلمين، وينطبق هذا أيضا على إنكار المعتزلة للكرامات – لعدم التفرقة بينها وبين المعجزات–، رغم ثبوتها عن سلف الأمة وعلمائها، وورود الأخبار القاطعة بها.

ويمكن القول إنه كما أن المعتزلة يميلون إلى جانب العقل في أحكامهم، أو تقديم العقل غير غيره من الأدلة، الأمر الذي يصادم تمسك المسلم بالنصوص الشرعية، فإن خصومهم يقدمون الأدلة النقلية مع عدم إهمال العقل، وفي هذا خطاب لعقل المسلم الذي يوازن بين العقل والنقل.


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



الخاتمة

بعد هذا العرض لمواقف المعاصرين واتجاهاتهم في الحكم على المعتزلة يمكن استخلاص النتائج التالية:

١ – المعتزلة من الفرق التي لها مكانة في الفكر الإسلامي، ولآرائها صدى بالغ وتأثير عميق في محيط الفرق الإسلامية، وقد أصبح المنهج العقلي الذي سار عليه المعتزلة في استدلالهم منهجا عاما تأثر به عدد من الفرق الإسلامية، وكثير من أصحاب الأفكار ساروا على نهجهم، إما تأثرا، أو مناصرة وتأييدا.

٢ – دارت الاتجاهات حول أفكار المعتزلة بين ثلاث طوائف، طائفة تهاجم المعتزلة وتنقد آرائهم، وترفض الاعتراف بهم، وأخرى تتبنى آراءهم وتدعو للأخذ بها، وطائفة توازن في الحكم بين سلبيات يجب التنبيه عليها، وإيجابيات يُمدَحون بسببها.

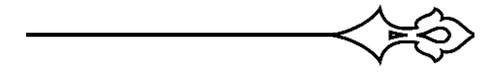
٣ – أصاب كل فريق من أصحاب الاتجاهين الأولين في جانب وأغفل جانبا آخر، فأصحاب اتجاه نقد المعتزلة هاجموا آراءهم، ولم يلتفتوا إلى المواطن التي أصاب فيها المعتزلة مثل دفاعهم عن الدين ودورهم في إعمال العقل ووجود شخصيات اعتزالية بارزة، ونظر أصحاب اتجاه التمجيد إلى مآثر المعتزلة دون نظر إلى مواطن الضعف في استدلالهم وآرائهم التي خالفوا بها جمهور المسلمين، مثل مغالاتهم في الاعتماد على العقل وتأثرهم بالفلسفة والمنطق اليوناني.

٤ – منهج الموازنة في الحكم على المعتزلة هو المنهج الأصوب في الحكم على الأفكار والفرق، لأن المعتزلة –وهي تمثل فرقة إسلامية خالصة– لها من الآراء ما يمثل نضجا عقليا وصورة صحيحة للمنهج

العقلي الإسلامي، وفي المقابل فإن لها من الآراء ما يمثل ابتعادا عن المنهج الإسلامي الصحيح.

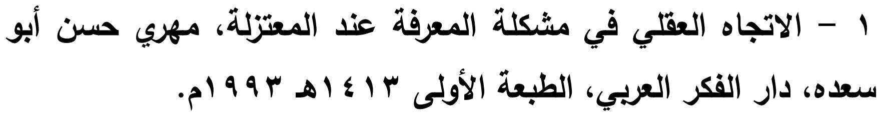


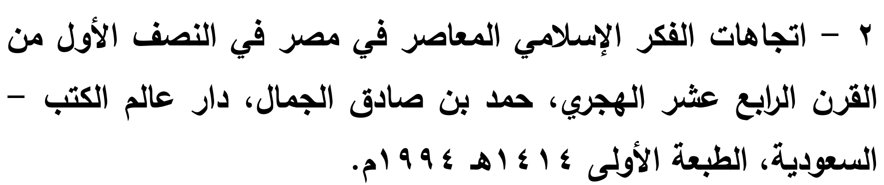
لذا فإن من الإنصاف عند الحديث عن المعتزلة التجرد في الحكم، والنظر بعين الإنصاف، مع تحديد الإيجابيات، والنص على السلبيات.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

فهرس المراجع


١ - الاتجاه العقلي في مشكلة المعرفة عند المعتزلة، مهري حسن أبو سعده، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.


٢ - اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، حمد بن صادق الجمال، دار عالم الكتب - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٣ - أثر المعتزلة في الفلسفة الإلهية عند الكندي، هناء عبده سليمان أحمد، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م .

٤ - آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويما، علي بن سعد بن صالح الضويحي، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

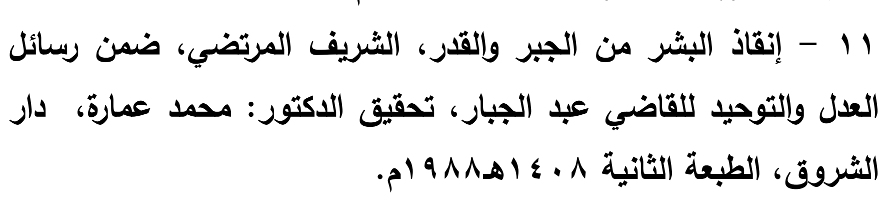
٥ - إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة، طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م.

٦ - أصل العدل عند المعتزلة، هانم إبراهيم يوسف، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٧ - أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د سفر الحوالي، دار منابر الفكر، بدون

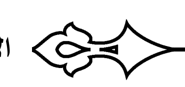
٨ - أطواق الذهب في المواعظ والخطب، أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، مطبعة نخبة الأخبار ١٣٠٤هـ.

٩ - الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف - الرياض، ١٩٩٩م .

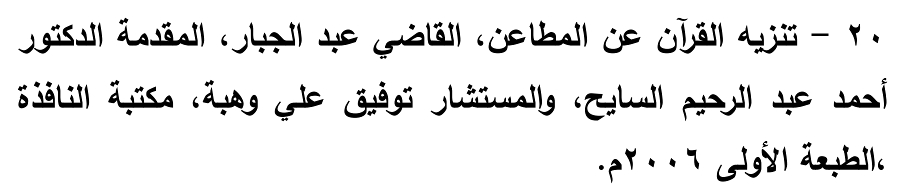

١٠ - الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، تحقيق: الدكتور نيبرج، الطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٣٤٤هـ ١٩٣٥م .


١١ - إنقاذ البشر من الجبر والقدر، الشريف المرتضي، ضمن رسائل العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور: محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
١٢ - تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، دار الأندلس الخضراء - جدة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
١٣ - تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي الدمشقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
١٤ - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية ٢٠٠٧م.
١٥ - تاريخ المذاهب الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٦م.
١٦ - تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، د فالح الربيعي، الدار الثقافية للنشر.
١٧ - تجديد الفكر العربي، الدكتور زكي نجيب محمود، دار الشروق، سبتمبر ١٩٧١م.
١٨ - التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.



١٩ – التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسين الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث– القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.



٢٠ – تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، المقدمة الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة ،الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٢١ – تيارات الفكر الإسلامي، الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٢٢ – جناية المعتزلة على العقل والشرع مظاهرها آثارها أسبابها، د خالد كبير علال، دار المحتسب، الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

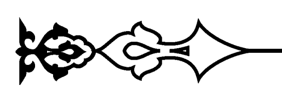
٢٣ – الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديما وحديثا، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن للنشر – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٢٤ – الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية، الدكتور محمود إسماعيل، دار القلم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى أغسطس ١٩٧٣م .

٢٥ – الحور العين، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٤٨م.

٢٦ – دراسات في الفرق القديمة والمعاصرة، عبد الله الأمين، دار الحقيقة – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩١م.

٢٧ – دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، الدكتور عرفان عبد الحميد، مطبعة الإرشاد – بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.



٢٨ – دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، ترجمة د. إحسان عباس، د محمد يوسف نجم، د محمود زايد، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الثالثة، إبريل ١٩٧٩م .

٢٩ – رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار البن كثير – دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

٣٠ – رسائل العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور محمد عمارة، دار الهلال ١٩٧١م .

٣١ – السلطة في الإسلام، عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

٣٢ – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي – دمشق ، سوريا، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣٣ – سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحق السجستاني، دار الكتاب العربي – بيروت .

٣٤ – السنن الكبرى للبيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

٣٥ – شرح الأصول الخمسة، قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٣٦ – الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٣٧ – ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية. الطبعة السابعة.

٣٨ – العقلانية في إطار الفكر الإسلامي المعتزلة نموذجا، غسان علي عثمان، بدون بيانات .

٣٩ – العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، صالح بن مهدي المقبلي، الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ ،

٤٠ – الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، الدكتور علي عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤١ – الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الآفاق الجديدة– بيروت، الطبع الثانية ١٩٧٧م.

٤٢ – فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي العواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٤٣ – الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي– القاهرة.

٤٤ – فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، ثلاثة مخطوطات اكتشفها وحققها الدكتور: فؤاد سيد، صـ ٢٠٠، ٢٠١، الدار التونسية للنشر.

٤٥ – الفكر السياسي عند المعتزلة، الدكتور نجاح محسن، دار المعارف، بدون.

٤٦ – فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس غرديه، و ج قنواتي، نقله إلى العربية الدكتور صبحي الصالح، والأب الدكتور فريد جبر، دار العم للملايين، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.





٤٧ – في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، الدكتور إبراهيم مدكور، المكتب المصري للطباعة والنشر.

٤٨ – في علم الكلام دراسة فلسفية المعتزلة، الدكتور أحمد محمود صبحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢م.

٤٩ – متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، تحقيق عدنان زرزور، دار التراث – القاهرة .

٥٠ – مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٥١ – المجموع في المحيط بالتكليف، قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، عني بتصحيحه ونشره: الأب جين يوسف هوبن اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية– بيروت.

٥٢ – مدخل إلى علم الكلام، محمد صالح محمد السيد، دار قباء – القاهرة، ٢٠٠١م.

٥٣ – المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد بن حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

٥٤ – المذاهب الاعتقادية القديمة في ميزان الإسلام، علي أرسلان أيدين، دار الرازي، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٥٥ – مذاهب المعتزلة من الكلام إلى الفلسفة دراسة في نشأته ومبادئه ونظرياته في الوجود، رشيد البندر، دار النبوغ للطباعة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى محرم ١٤١٥هـ يونيو ١٩٩٤م.

٥٦ – مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، اعتنى به: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية– صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.



٥٧ – مستدرك الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٥٨ – المشابهة بين المعتزلة الأوائل والمعتزلة الجدد، فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، بدون بيانات، من موقع صيد الفوائد.

٥٩ – المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبدة ، و طارق عبد الحليم، دار الأرقم – برمنجهام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ٩٨٧م.

٦٠ – المعتزلة تكوين العقل العربي أعلام وأفكار، الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦١ – المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، أحمد شوقي إبراهيم العرجي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٦٢ – المعتزلة نشأتهم فرقهم آراؤهم الكلامية، صلاح أبو السعود، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

٦٣ – المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٦٤ – المعتزلة والتفكير الحر، عادل العوا، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى.

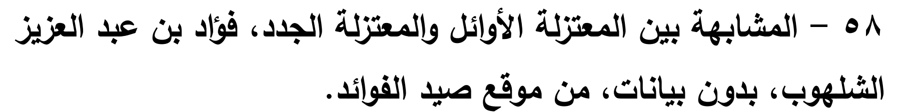
٦٥ – المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

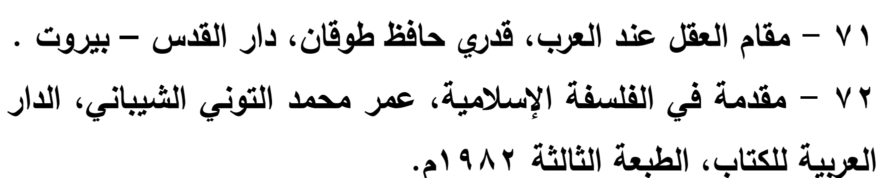
٦٦ – المعتزلة، زهدي حسن جار الله، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر .

٦٧ – المعجم الأوسط للطبراني، دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ

٦٨ – المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار.

٦٩ – مفهوم العقل، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م.







٧٠ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتاير- ألمانيا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٧١ - مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان، دار القدس – بيروت .

٧٢ - مقدمة في الفلسفة الإسلامية، عمر محمد التوني الشيباني، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

٧٣ - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ .

٧٤ - من قضايا الرأي في الإسلام، أحمد حسين، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بدون.

٧٥ - مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، مقدمة الدكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.

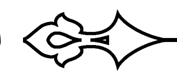
٧٦ - المنية والأمل، لأحمد بن يحيى المرتضى، عني بتصحيحه: توما أرنلد، دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد.

٧٧ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

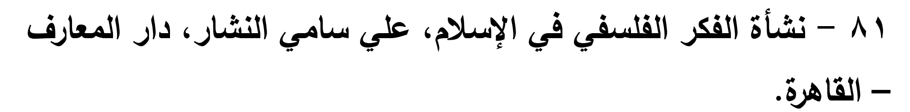
٧٨ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ .

٧٩ - موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، أبو لبابة حسين، دار اللواء، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.



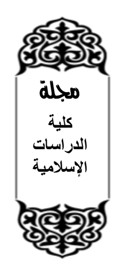


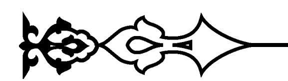
٨٠ - النزعة العقلية في تفكير المعتزلة، علي فهمي خشيم، دار مكتبة الفكر - طرابلس- ليبيا، ١٩٦٧م .



٨١ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف - القاهرة.

٨٢ - وحدانية الألوهية بين المعتزلة والأشاعرة، خالد عبد الحليم السيوطي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.








مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

فهرس الموضوعات




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية